294
D124nA
v.1
c.2

A. U. B. LIBRARY

294
D124n
V.1
C.2

نواة الوحدة الدينية في العالم

البراهمة

الجزء الاول

- تأليف -

هاشم الرفتر دار المدني و محمد علي الزعبي

المدرسين في كلية فاروق الأول الشرعية ببيروت

صدر عام ١٣٦٧ هـ و ١٩٤٨ م

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الانصاف * بيروت * شارع المعرض

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وخالق الخلق اجمعين، من لم ينس شعباً من الشعوب من فيوض رحمته، وغيوث عطاياه. والصلاة والسلام على رسل الله مبلغي وحيه الهداة الرحماء والمصلحين الانسانيين الذين جعلهم الله شموس الهداية وكواكب السعادة، ساداتنا: وقرة اعيننا نوح وادريس وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهم) وعلى آلهم وأتباعهم الكرام والمصلحين العظام الذين نهضوا بأعباء الدعوة الى الله واخلصوا لها الجهود، واوقفوا لها النفس والنفيس.

وبعد: فان مصادفات الاقدار، وحظوظها الكريمة سافتنا الى الاجتماع بمجالس شتى لاخواننا اهل الاديان المجاورة، وقد رأينا بعد بحوثنا التي كانت حافلة بالود، والصدق والاخلاص ان كثيراً من سوء التفاهم مأتاه كلمة سيدنا الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (الناس اعداء ما جهلوا)

وقد اجتمعنا في دار احدنا (١) الى المستشرق الكبير العلامة «ماسينيون» عصر يوم الاحد ٣ آذار ١٩٤٥ بحضور المحامي جرج بورجي، والاديب كامل الحاج، والمستشرق الفرنسي الاب دوبور، وقضينا جميعاً ساعة زاخرة بالبحث والاشراق. وقد تبينا ان العلم والمعرفة والدراسة تناسب بين النفوس، وتقارب بين القلوب، وتوحد الاهداف، وتبيد الضغائن التي ينفثها صغار العقول، ويمجدها الهدامون المسرفون

وفي هذه السنة نفسها أقام الصديقان الكريمان الاديبان، الاستاذ السيد رفيق سنو صاحب جريدة بريد اليوم، وشقيقه الاستاذ السيد رشيد سنو، في منزلهما ببيروت حفلات ليلية، للبحث والمناقشة بهدوء وحب وعلم ومعرفة، وصدق واخلاص، بيننا وبين العالم اللاهوتي الاخ الدكتور ابراهيم سويداني (٢) ورفاق له كرام متطوعين لخير الانسانية وقد تبين لنا ان البحث الحر الشريف الناضج، والمعرفة العلمية

---

(١) في منزل الشيخ هاشم الدفتر دار المدني

(٢) صديقنا الحائز على شهادة اللاهوت من الجامعة الاميركية

العميقة، لا تحدث ضوضاء ولا خصومة ولا سوء فهم .

اذن فلا نرتاب أن اخواننا أهل الاديان الاخرى، اذا درسوا سيرة خاتم الانبياء ﷺ دراسة عميقة ناقدة، وانعموا نظارهم في الوحي الذي انزله الله عليه ، احبوه كل الحب واخلصوا له الود والايمان .

وكذلك نحن حين ندرس الاديان نجد انفسنا تذوب اكباراً ، وقلوبنا تستضيء ايماناً واذعاناً ، وتخشع لدى ذكرى دعاة الاديان الكبرى ، رسل الله ، عليهم الصلاة والسلام.

وقد كان وقع دراساتنا في انفسنا وأثر بحوثنا كوقع شبح الرائد ، إذ تبدى على بعد لمصحر ، فانثنى على بندقيته وكاد يطلق عليه رصاصه اذ خاله وحشاً كاسراً ، ولكنه تريث قليلا حتى يتبين ، فاذا هو شبح انسان نخاله عدواً فاتكاً وحاول ان يطلق عليه رصاصه ولكنه تريث نزلة اخرى حتى يتيقن ، وماكاد يقترب منه حتى القى سلاحه وهجم عليه معانقاً اذ هو شقيقه ورفيق حياته ! ! !

وانا نصارح قراءنا بأن كل ما نراه من احقاد وحماقات

وفتن رعناء بين اهل الاديان، مأتاه جهل كل فريق بما لدى الفريق الآخر من اضواء وكنوز وحكمة وخلق وهداية.

وقد اجتمعنا الى اهل اديان اخرى من الهنود البوذيين والبراهمة فرحبوا بما ابديناه من بحوث قائلين: (نحن وانتم نرجع الى أب روحي واحد هو ابراهيم عليه السلام) وقد غمرونا بمودتهم لا سيما حين ذكرنا لهم ان القرآن يمجد اتباع ابراهيم الأول في قوله: (ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا).

وقوله: «ان ابراهيم كان امة» وكيف لا يكون أمة وقد عمل على نشر الحنيفية في كل الامم. هذا وقد رأينا من الواجب ان تقوم بدراسات الاديان الكبرى دراسة شريفة بريئة من الغل والتنكر والتهجم والزيادة والنقص والتقول والافتئآت، لتكون دعامة للمصلحين الدينيين الذين يعقدون المؤتمرات الدينية في الشرق والغرب، ويحرمون التكلم في دين ما قبل دراسته، ومعرفة اصوله وفروعه وقديمه وحديثه، وما جد فيه من نحل، وما بقي فيه من جوهر

وما استوثق فيه من مصادر يعترف بها العلم، وما وهن وضعف، ولم يكن له من سند علمي صحيح.

والذي نعتقده اذا أصغى اهل الاديان الود والاخلاص وأرادوا الخير لأممهم، والانسانية جمعاء، وطلبوا الحقيقة على ضوء العلم والواقع ونشدوا الهدى الذي انزله الله في وحيه.

فبعيد بعيد ان يجدوا تبايناً وتناحراً وصراعاً وخصومة فبعيد بعيد ان يجدوا دساً وافكاً وكذباً وبهتاناً. فبعيد بعيد ان لا يجتمعوا في صعيد واحد. يتعانقون ويمهدون سبل الوحدة التي سوف يكشفها العلم، والواقع والحق، بل ويفرضها فرضاً.

ويعلم الله كم بذلنا ونبذل من جهود، وكم سهدنا وكم جمعنا وكم كتبنا؟...

أجل قد انقطع احدنا (١) لما اختص به من عمل الى البحث في أعماق المجلدات، وكهوف الاسفار، وحجرات الصحف والمجلات، لاستخراج النصوص وتدوينها وتصيدها

---

(١) محمد علي الزعبي

من هنا وهناك ، وادخارها بجد وجهد وبحث وتنقيب ما ينوف على ربع قرن .

وانقطع احدنا (١) الى تبويب تلك النصوص، ووضعها في ابوابها، في اسلوبه المشرق الجذاب، وفنه الرائع واستخراج ما تهدف اليه من اغراض سامية ومقاصد بعيدة تقدم الجديد من رائع الافكار وغريب المقاصد التي لا تعدو الحقيقة ولا تتجاوز والواقع ما يناهز تلك المدة .

وها نحن أولاء نقدم الى الانسانية جمعاء ما سلخنا في صنعه السنين الطوال غير واهنين ولا متخاذلين .

أجل؟ نقدم اليها هذه الجهود ، وكل منا يحس في اعماق نفسه أنه أرضى الله بما بذل وجاهد وناضل وحقق وسهد وارضى رسله الكرام (صلوات الله عليهم) بما اقتبس من انوارهم واتسى بهداهم في أعماله، ونهج نهج المصلحين الكرام الذين يريدون الخير لوجه الله والانسانية ، والحق لا لشهرة أو غاية أو سمعة. ولا لشيء مما يهدف له الوضعاء وصغار النفوس.

---

(١) هاشم الدفتر دار المدني

وانا نقدم حمدنا واكبارنا وتقديرنا للعلامة الكبير المحقق الطبيب خالد عطوى نصيف ، لما أرشدنا اليه من نصوص انكليزية وما هدانا اليه من كتب،وسيجد قراؤنا ترجمة هذا الطبيب الحكيم في صفحة خاصة من هذا الكتاب .

كما نشكر كل الذين ساهموا ويساهمون في اذاعة هذا الكتاب،وعملوا على نشره بالرأي والمادة. لاسيما الشاب المسلم الغيور السيد حسن زكي الطرابيشي الذي بذل من ذات يده الكثير الكثير ، لاذاعته بين الجماهير .

فقد وجد فيه روح الدعوة الدينية التي نرجو نشرها في العالم كل ذي حجر ، ويعمل لها .

ونسأل الله سبحانه وتعالى حسن التوفيق الى ما فيه خير الانسانية وفلاحها .

بيروت ١٣٦٧ هـ . و ١٩٤٨ م.

المؤلفان

هاشم الرفاعي و محمد علي المزهبي

تـوطئة

لقد اغتر كثير ممن ينتسبون الى العـلم بما أعطتهم العلوم المادية التي تبحث في ظواهر الوجود وخصائصه ، وبهرهم ما تعطيه كل يوم من جديد ، ونسوا أن ظواهر هذا الوجود ودراسة علومه المستمدة من تجارب الانسان وأبحاثه لاتعدو أن تكون مثلاً لمن رأى شاطىء المحيط الأعظم وما فيه من عوالم وهو لا يدري عنها شيئاً ، وخال ما أدركه من غرائب الشاطىء كل ما في المحيط .

ونحن اذا نظرنا الى هذه الكرة التي لا تزيد عن ذرّة من هبـاء في حساب العـلم بالنسبة للعوالم المترامية وعظمة أجرامها في أبعاد الفضاء ، المدركة منها والمظنونة والمجهولة ونظرنا الى الحقائق العلمية الضئيلة التي وصلنا اليها بجانب ما نجهل – فلا شك أننا لا نزال في دور الطفولة العلمي ، وهل يحق لاطفال يعالجون دراسة الابجدية ولما يهضموها ان يناقشوا الجامعيين والفلاسفة فـيما انتهو اليه من علوم ونظريات ؟ !

على أن الفلاسفة والعلماء وكل رجال الفكر لايستطيعون أبداً أن يتحكموا في حقائق الوجود العليـا ، لان هذا التحكم افتآت على المعرفة باسم العـــلم .

واكبر المجرمين الجناة أولئك الذين يحاولون هـدم أدبيات الانسانية العليا وحقائق الايمان الكبرى كي ينالوا القاب الفلاسفة

والعلماء بعد أن سدت في وجوههم السبل وعجزوا عن ان يأتوا بجديد من العلوم وابتكار من المعرفة .

وملء نفوسهم عرام الشهرة (١) وشهوة كبرياء الذات المنحطة فما وجدوا الا أن ينالوا من الايمان بخالق الكون ويجدفوا به وفي ظنهم أنهم اصبحوا علماء مخترعين وفلاسفة مقتدرين .

ولو انهم اقبلوا على العلم والمعرفة بحق وتبينوا ما تهدي اليه عوالم الوجود وما ينكشف منها لهذا الانسان من أسرار وحقائق كل يوم ، لاحتقروا أنفسهم بما يشيدون من افك ، على انهم لو انعموا نظرهم بعمق فيما كتبه عباقرة الفلاسفة وابطال الاصلاح لوجدوا الايمان بعظمة خالق الكون وقداسة الحق يزخر في أعماق قلوبهم ويفيض بالجلال والاكبار .

---

(١) اراد الدكتور طه حسين مداعبة الازهريين فأنكر أن ابراهيم شاد البيت الحرام وهو يعلم أنها مسألة علمية لامجال لنكرانها ، تشهد بها الآثار وحقائق التاريخ ولم يفطن الازهريون لتلك المداعبة فشهروا به فاشتهر ! وحذف ذلك بعد أن قال ما تمنى لانه لم يقصد به الى العلم ولا الى التحقيق !

وحاول بعضهم أن يسلك هذا الطريق ولكن كانت مداعبة ثقيلة فأنكر كثيرا من الأشياء تباعاً ولم يحفل به أحد وأخيرا لم يجد سبيلا الا أن يسرق قول الفيلسوف الألماني (نيتشه) والعلامة الفرنسي (غوستاف لوبون) وهي : ان فكرة وجود الاله من الانسان ثم لم يلبث أن أصبح مستعبداً لتلك الفكرة ، واصبحت

ولا ريب أن الدافع لانصاف المتعلمين على التجديف وقوفهم عند ظاهر النصوص وتقيدهم بالحرف .

هذا الوقوف وذاك التقيد أضرا بأقدم الاديان واحدثها أضراراً بالغة مزّقت جامعاتها وهدمت حيوياتها وجعلتها لدى الدارس السطحي نحلاً متناقضة ومذاهب متباينة. واكبر ما نهدف اليه في بحوثنا ودراساتنا للاديان الالهية الكبرى في العالم التي تعتنقها جماعات انسانية كبرى ، لها جامعاتها ، وعلماؤها ، وتاريخها ، ولها معابدها الكبرى ، وكتبها المقدسة ، ورسلها ودعاتها ، ونحلها المختلفة ، هو أن نضع جهودنا ونوايانا الانسانية الرفيعة ولباناتنا الحية بين يدي الحقيقة العليا، بين يدى شمس المعرفة الانسانية ، بين يدى

في نظره حقيقة فهو حين يعبد انما يعبد نفسه ، فالأنسان اكبر شيء في الكون لانه هو ذاك المعبود وقول الشاعر .

عالم الوهم نحن صغنا رؤآه واردناه ان يكون فكانا

وما زال يلوك هذه الفكرة المسروقة ويرددها من مقالة لأخرى غير واجد من يشهر به فيشتهر ولا من يفكر في الرد عليه .

وقد كانت ثقيلة باردة لكثرة ترديده اياها ، على أن القرآن كفانا الرد على هذا المذهب الذي نادى به فرعون لاول مرة (انا ربكم الاعلى)

اجل لاينال مقام الانسان بمثل هذه الترهات والاباطيل وانما ينال بالعلم والمعرفة والايمان بخالق الوجود والعمل لمثل الانسانية العليا والجهاد في سبيلها .

الايمان بوحدانية الله الذي هو حقيقة كل هاتيك الاديان . - نضعها مخلصين لله الحق وللانسانية واديانها العليا التي اوحاها الله رحمة للعالمين وهدى ونوراً .

والاديان وان اختلفت في فروعها فيما تبدو لاول وهلة ، أوفي بعض أصولها ، فان هنـاك بلا ريب وحدة تجمعها ودعـامة اولية ترتكز عليها .

ذلك لان الله الخالق الذي أوحاها وأنزلها على الدعاة المؤسسين لها ،محال أن يوحي لقوم عقيدة تخالف كنه الايمـان به وبوحدانيته وعظمته وجلاله وكماله وتنزهه عن مشابهة خلقه .

نعم قد تكون العقيدة متباينة في أسلوبهـا ، وطريقة اداثها ، وتبليغها بالنسبة لاختلاف الاجيال في سلم الحضارة ،وتغايرها مدنية وعلماً وجهلاً ، وان كانت واحدة في كنهها وروحها.

واكبرجهودنا التي بذلناهـا بضراوة وعمق وسهد ، هو التغلغل الى تلك الحقيقة والامعان في أعماق ذلك الروح. ونود هنا أن نلفت نظر قرائنا موفرين عليهم كثيراً من التساؤل ، حيث يبدو لنظرهم أن الاختلاف اكبر مما نذكر ،واوسع مدى مما نقدر،موفرين عليهم هذا التساؤل في قولنا: ان الاختلاف بين الاديان واجب وضروري أيضاً ، ولو عقل كثير ممن ينتمون اليها أن هذا الاختلاف واجب وضروري لابقوا على أنفسهم جهد المشقات واستراحوا من عنـاء التنابز بالالقاب والتدافـع بالاكف . ونقـدم بين ايديهم مثلاً لمـا نهدف اليه في بحوثنا. هل يرتاب القراء في أن وزارة المعارف تقصد في وضع مناهجها غير المعرفة ؟

لا لا ... ومع ذلك فمحال أن تضع مناهج الجامعيين ماتضعه لحدائق الاطفال . اذن فليس من الممكن أن لاتكون هذه السنة الطبيعية التي هدى الله اليها خلقه محكمة في تعاليمه . اذ يختلف وحي الشرائع وطقوس العبادات باختلاف الازمان والاجيال قال الله تعالى (ولكل جعلنا شرعة ومنهاجاً)

ولكن العقائد الجوهرية المتعلقة بذاته تعالى وعوالم الروح والآخرة لن تتغير ابدا ، لان الحقيقة الواحدة لايطرأ عليها تغيير ، ولكن تتغير طريقة الاداء وأسلوب التعبير الذي يختلف باختلاف العقليات والبيئآت والحضارة والمعرفة . نعم ان الانسان في ادواره الاولى يصغر في نفسه كنه الخالق لصغر معنى الوجود وضألته في معرفته ، فالدين محال الا ان يكون معطيا لله الصفات الكمالية التي تليق بعظمة الصنعة وهولها ، وانما التنزل يكون في طريقة الاداء لا في الحقيقة والكنه ، والا لتغير الشيء الواحد واصبح له حقائق مختلفة وهذا محال . وكون العقائد الجوهرية التي اوحاها الله الى الرسل محال ان تختلف ، واضحاً مما نقدم اليك من نصوص الاديان فهذا رسول الله موسى يأمر بني اسرائيل باحترام الناموس الذي جاء به جده الخليل ابراهيم وادريس والرسل قبلها وقد تناقل هذا الناموس الديني الاعلى اتباع الاديان والرسل حتى ان علماء البوذيين انفسهم يرون أن بوذا حين ذكر نصوص الناموس العشرة كانت روح الخليل ابراهيم حالة به (١)

---

(١) راجع الجزء الاول من تاريخ ملوك العرب للريحاني فصل: اديان واشجان

وهذا رسول الله عيسى المسيح يقول (ماجئت لانقض الناموس) ولا ريب أنه يقصد من الناموس العقائد الجوهرية التي يستحيل عليها التغيير . اما الطقوس فلا بد من تغييرها لما يوافق مقتضيات البيئآت والجماعات .

وهذا القرآن الكريم وهو خاتم الكتب السماوية ينادي مصرحاً (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب » (١)

ولكن هذا الاختلاف غير الجوهري هو عين الوحدة وهو عين البرهان على انه وحي من الله ، واما الدين اي التدين وهو توجيه العبادة وقصدها لله وحده وتوحيده وتنزيهه فهو شيء موجود في اصول الاديان كلها وهو واحد ولا اختلاف فيه ويظهر ذلك لدى انعام نظر الناقد الباحث المستريب ذي النية والايمان في مجموع النصوص الموثوق بها علميا في كل الاديان ، ويا ليتنا نعقل ما يعقله الطلبة الصغار مع اخوتهم الجامعيين في توجيه اكبارهم ومحبتهم لوزارة معارفهم اذ يدركون أن اختلاف المنهاج انما يقصد به شيئان تثقيف عقولهم وتهذيب نفوسهم ، كل بحسب دوره وبيئته ومقتضيات حاله وسنه ، كما ان الطلاب جميعاً كباراً وصغاراً متفقون على شيئين محبة بعضهم بعضا ومحبة وزارتهم .

فالاديان جميعاً يقصد منها شيئان : وحدة الانسانية بالايمان

---

(١) سورة الشورى الآية ١٢

بخالقها وسعادتها في محبة بعضها بعضا ، وليت اهل الاديان جميعاً يعقلون هذه الحقيقة التي عقلها الصغار فيوجهون ايمانهم لله خالقهم توجيها جامعا لوحدة اديانهم تاركين وراءهم كل اختلاف كان من مقتضيات الاوضاع الزمنية والحاجات الظرفية ويحبون ذات بينهم حباً صادقا لارياء فيه ولا افك ، اذ الاديان جميعاً تنادي بهذين المبدئين (١) – معرفة الله ومحبة الناس – الذين هما سر الناموس الديني الاعلى .

ونستعجل بك الى الفائدة مقدمين وحدة العقيدة بصورة اكيدة موجزة يقينية لكي نضع ايدينا على قلوبنا مرتبطين برباط المحبة والثقة فرحين بالخلافات التي في الاديان لانها مما تؤكد أنها من الله اذ محال ان تكون الشرائع غير موائمة للوضع الطبيعي التطوري للامم اذ هذه الموائمة هي عين الحقيقة ! .

اما كنه العقيدة بالخالق لو اختلفت لبطلت من اساسها !! واما

---

(١) سيأتي بحث محبة الناس في الاديان كلها في توطئة الجزء الثاني ونستعجل بك الى الفائدة بما جاء في دين ابراهيم كما حرره بوذا (في الرؤيا الثامنة من الرامايانا) .

« ايها الناس ان اباكم جميعاً الله وحده وانتم اخوة تعاضدوا في المصائب ولتكن الرحمة فوق العدل بينكم » ويريد بالابوة انه خالق الجميع اذ الانسان القديم كان يسران يطلق على الله اباً اذ يدرك من ابيه الحنان والرحمة ومن هنا جاء اطلاق اب على الله واصبحت لفظة اب مرادفة لرب والمسيح يقول لتلاميذه : (معلمكم واحد وانتم اخوة) ومما جاء في وصايا سيدنا المسيح ايضاً وقد سأله رجل

اختلاف طريقة الاداء الموافقة لعقليات الاجيال مع الاحتفاظ بالجوهر والروح فهو ايضاً مما يقتضيه الوضع الطبيعي التطوري للامم.

وانك تجد روح العقيدة بالخالق الواحد الحق واضحة جلية في اعرق الاثار قدماً وابعدها مكاناً تجدها في دين ادريس عليه الصلاة والسلام منتثرة هنا وهناك تارة في الادعية المأثورة عنه وطورا في كتب الوحي المنقولة وأخرى في تعاليمه الموزعة :

واليك هذا الدعاء الذي يدل دلالة واضحة على عقيدة الايمان بالله الواحد لدى المصريين القدماء، كما جاء به ادريس عليه الصلاة والسلام :

«مولاي وسيدي خلقتني وصورتني وجعلت لي عينا ابصر بها آثار قدرتك وأذنا اسمع بها تقديسك، الله العظيم ملك السموات والارض وجميع الكائنات».

وكون هناك كتب منزلة من السماء واضحة من مقالة روح

عن طريق الحياة الابدية فاجابه، (تحب قريبك كنفسك) وفي هاتين الوصيتين كل الناموس والانبياء : ويريد بالقريب هنا ما اراده خاتم الانبياء من قوله (لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) اي اخيه في الانسانية كما ذكره النووي والحديث رواه البخاري ومسلم . واليك هذه الخلاصة الانسانية الغالية التي جعلها خاتم الانبياء دستوراً عالمياً وذلك قوله : (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم اليه انفعهم لعياله) راجع كتاب الجامع الصغير .

وهذا زيد بن الارقم الصحابي الجليل الذي طال جواره لرسول الله يروي دعاءه عليه الصلاة والسلام الذي كان يردده دائماً (اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة) .

الميت مدافعة كما هي منقوشة في أقدم الاثار « ولم اخالف الاوامر الآلهية ولا الكتب المنزلة »

واذا كان كريستا قد مضى عليه ثمانية وستون قرنا فادريس وشيث عريقان في القدم لايدرى ابتداء تاريخهما ولولا أن الاثار المصرية كشفت لنا عن تعاليم ادريس ممزوجة بالاساطير لما عرفنا عنه شيئاً ذا بال .

والان نعرض عليك ايضا عقيدة التوحيد كما جاء بها ابراهيم عليه السلام وجمعها رجال دينه في الهند بكتاب الفيدا - جاء ما نصه :

«انني انا الله نور الشمس وضوء القمر وبريق اللهب ووميض البرق وصوت العاصف والاريج الذكي العابق في الارجاء انا الاول الذي لاشيء قبله والآخر الذي لاشيء بعده ملك العالمين وخالق السموات والارض »

وجاء ايضاً: «في البدء كان الموجود واحداً لاثاني له فاراد ان يوجد موجودات كثيرة فخلق النور » (١)

ولما كنا نؤثر ان نقدم اليك عقيدة التوحيد على شرفات الازمان المتعاقبة ، وجدنا من الواجب تقديم سر الوحدانية كما نقلت عن سيدنا موسى (عليه السلام) قبل الرامايانا لان بوذا وان كان جامعاً لعقيدة ابراهيم ومطهراً لما دخل عليها الا ان مجيئه بعد موسى بنحو سبعة قرون مما يجعلنا نؤخر ذكره لبعد موسى كما ترى ... ففي التوراة :

---

(١) راجع الفيدا

« انا هو الرب الهك الذي اخرجك من ارض مصر من بيت العبودية لايكن لك آلهة اخرى امامي ، لاتصنع لك تمثالاً منحوتا صورة ما، مما في السماء من فوق وما في الارض من اسفل، وما في الماء من تحت الارض . لاتسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك اله غيور » (١)

وفي الرامايانا :— ملحمة البوذيين المقدسة — « ايها الانسان ان معرفة الله تنسكب اشعة وانواراً في عقلك فلا تحاول ان تراه بعينيك الفانيتين اذ عيناك لاتبصران الروح والدائرة اللانهائية لاتحيط بها العينان ولاتدركان كنهها » وفيها ايضاً : علموا ابناءكم اسم الله الخالق لكل شيء كما تسقونهم الحليب لدى السغب فانهم يذوقون عذوبة المعرفة قبل ان تهجم عليهم مرارة الحياة » (٢)

وفي وصايا بوذا العشر المقدسة مانصه : « تجنب الاعتقادات الباطلة » .(٣) ويريد بالاعتقادات الباطلة تعدد الله وحلوله وجميع الامراض التي ادخلها البراهمة على دين ابراهيم .

وانظر ما جاء به زرادشت في الحملة على عابدي الاوثان والمخلوقات وتاركي عبادة الله الواحد الخالق اذ يقول : « ملعون هو اول من اتخذ صنماً »

ولا عجب فقد جاء زرادشت مجدداً عقيدة ابراهيم عليه السلام حتى ان اتباعه لما عرفوا منه ذلك قالوا ان روح الخليل ابراهيم

---

(١) راجع سفر التثنية ص ٥—٦
(٢) راجع الرؤيا الثامنة من الرامايانا
(٣) راجع كتاب— سوسنة سليمان

تقمصته ،بل يعتقد الزرادشتيون اليوم ان ابراهيم زار ايران وبث دعوته وسافر الى الهند ثم عاد الى فلسطين ولكن روحه بعد فساد دينه لبست المصلح الديني الحكيم زرادشت واصلحت الدين على يده (١)

وهذا كونفوشيوس – المعلم المحترم – الحكيم الصيني المجدد الكبير يقول :

« آمنت بالله الحق خالق السماء وكل شيء » (٢)

وهذا (لاوتسو) يجدد عقيدة التوحيد التي جاء بها قبله الحكيم الصيني ليونسو المعاصر لابراهيم والآخذ عنه الذي نقل عنه قوله :

« اعتقد ان لهذا العالم خالقاً قادراً واحداً يتصف بكل صفات الكمال واني لا اعرف اسمه ولا استطيع اطلاق اسم عليه (٣)

---

(١) راجع ص٢٤٥ من الجزء الاول من كتاب ملوك العرب للريحاني

(٢) راجع كتاب كونفوشيوس ترجمة السيد محمد مكين الصيني

(٣) لايجب ليونسو ان يطلق عليه تعالى اسماً من اسماء البشر أو الاوثان بل يكتفي بالايمان بوجوده وقدرته الظاهرة في مخلوقاته التي لاتحد . ولو تأدب الناس بآداب ليونسو لما اطلقوا عليه تعالى في لغاتهم اسماء رجال اديانهم واوثانهم وقد ارتكب خطأ الدكتور حتي في كتابه (العرب) اذ ظن ان العرب اطلقوا على الخالق العظيم اسم صنم من اصنامهم (الله) ككل الامم ! ! على ان العربية تمتاز باطلاقها عليه تعالى اعرف الاسماء وادلها اسماً بكراً يليق بجلاله وقدرته و كبريائه (الله) كلمة لم تستعمل في اله مخلوق اذ نرى اسم الله في كل اللغات مأخوذا من اسم صنم او انسان اوحيوان مما يدل على ان عقلياتهم لم تكن محررة من الاعتقاد بان المخلوقات

وهـذا سيدنا المسيح يصف الخالق العظيم بالاله الحقيقي ويراه وحده مستحقاً السجود والعبادة فيقول « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » (١)

وقال ايضاً: « هـذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الآله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » (٢)

وهذا القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وعقلها المفكر الذي جاء وقد تهيئت الانسانية للوصول الى رشدها واستوفت كل

هي الله الخالق !! ، فالبراهمة مثلاً : يطلقون برهمه على الله والمصريون يطلقون عليه (اوزيريس) واليونان يطلقون عليه الاله (المجهول) والبابليون يطلقون عليه (بيل) وهو اسم لاحد رؤسائهم الذين صلبوا تخليصاً من الخطيئة الاصلية والفرنسيون يطلقون عليه (ديو) كأنه اشتقاق من (ديونيسيوس) ضم جبيل والانكليز يطلقون عليه (كاد) وهو في الاصل آله الزهور (ديونيسيوس) ومن اجمل القصص ان ينقب علماء الاثار على تمثال ديونيسيوس في حفريات جبيل ثم يهتدوا اليه بعد اعوام لدى امرأة فقيرة في احدى قرى جبيل وقد جعلته باباً لمكان يبيت فيه الدجاج وقد نقل الى باريس.

انظر الحجر الذي اكتشفه الالمان في العراق عام ١٩٠٤ ونقل الى برلين كيف يقص صلب الآله بيل ومحاكمته وطعنه وتتويجه ، كما سيأتي مفصلاً في الاجزاء الآتية . راجع دائرة المعارف الفرنسية وتفسير الجواهر لسورة آل عمران وكتاب المراحل لميخائيل نعيمه

(١) لوقا ٤-٨

(٢) يوحنا ١٧-٣

ادواته، واستمدت بما اعطيت من امكانيات الوحي للوصول الى مثل الانسانية العليا التي جاء بها خاتم النبيين .

اجل، جاء القرآن بالعقيدة التي جاء بها الانبياء من قبل واضحة قوية موائمة لكل الاستعداد العلمي والتطور الفكري والنظر الحر الناقد المستريب والادراك الناضج البعيد فقال « انني انا الله لا اله الا انا » « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »

«وما قدروا الله حق قدره ،والسماوات مطويات بيمينه والارض قبضته يوم القيامه» «انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون »

وهنا يتضح لقرائنا الناقدين الباحثين في جميع الاديان ان للعوالم والكائنات خالقاً عظيماً وأن خالقها وصانعها هو غيرها بلا ريب، وأنه واحد ابدي ازلي موجود من قبل خلقه وانه ليس جزأ من خلقه ولا خلقه اجزاء منه فلا يشابه خلقه ولا خلقه تشابهه اي فليس بنور او نار او روح او جسم او بسيط او مركب او ساكن او متحرك بل ليس كمثله شيء . الحي القيوم قائم بذاته قبل خلق العوالم والكائنات وبعدها . وكل العوالم والكائنات قائمة بقدرته وهيمنته وسلطانه وجبروته وقهره وله جميع الكمالات التي تليق بجلاله، وله العلم الذي لانهاية له المحيط بكل ما كان ويكون مما خلق ويخلق، وله القدرة المتصرفة في خلق المخلوقات وايجاد الموجودات وتقدير النواميس والسنن منزه عن الحاجة عن أن يحل في مخلوقاته مهما تكن عظيمة اذ هو غيرها بلا ريب وصفاته غير صفاتها .

وقد جاء على البشرية من عالمهم الصغير البسيط أن خالقهم

هو اثنان (١) او ثلاث (٢) او اربعة (٣) او خمسة (٤) اوستة او سبعة (٥) اوتسعة (٦) او عشرون .

لانهم نظروا في جانب من الصنعة ولم يدركوا كل عجائبها وتهاويلها ! كالذي ينظر الى ابريق من الفخار فيقول صانعه العم ابو فلان الذي يروح ويغدو، يفلح ارضه ويجر رداءه ولا يحسن

---

(١) الثنوية الداخلة على دين ابراهيم في فارس بعد زرادشت . راجع سوسنة سليمان

(٢) الثالوث طارىء على دين ادريس في مصر واليونان وعلى دين ابراهيم في الهند وله بحث خاص تراه في الجزء الثاني

(٣) دخل على البوذية بعد اصلاح (بوذا) اذ ليس من المعقول ان لايدخل على الثالوث البرهمي فاضافوه اليه واصبح رابوعا ـ راجع كتاب تفنيد التزوير للاب لويس شيخو

(٤) الخاموس : من امراض البراهمة ايضاً ـ راجع كتاب تفنيد التزوير المذكور .

(٥) السابوع : له اثر لدى البوذيين ويظن انهم قدسوا بعض تلامذة بوذا المصطفين لكثرة ما وضع حولهم من خوارق ومسألة التأليه بسيط جداً لديهم وهي ان الانسان يستطيع ان يتطهر بروحه التي هي جزء من الروح الالهي الكلي فيتطهر ويتطهر من كل علائق الجسد ومطالبه ونزعاته ونزواته حتى يرجع الى الالوهية التي كان منها في الاصل لذلك يقولون : ان عشرين شخصاً من البوذيين وصلوا الى درجة الالوهية ـ راجع كتاب تفنيد التزوير ـ ودائرة المعارف الفرنسية مادة بوذا وسوسنة سليمان وكتاب العقائد

القراءة والكتابة حتى اذا قيل له ان العم نفسه صنع الراديو ايضاً سلم انه هو وابقى تلك الصفات الحقيرة التي لاتليق ان تعطى لصانع الراديو ثم اخذ تحت كابوس الموروثات يتفلسف ويتأول اباه ان يذعن للحق والعقل بل يتفلسف ويتأول اذعاناً مقلوباً للحق والعقل .

وهكذا البشر كلما تنكبوا عن هداية الرسل ووحي السماء ونور الحق والهدى وقعوا في اوحال الضلال والشرك وكلما نزلوا بالصفات الالهية سقطوا مساقط المخلوقات حسب ضعفهم الزمني وطفولية عقلياتهم !

فحين كانوا لايعلمون الا ان الارض هي كل شيء وان الثور يحملها كانوا لايستعظمون حاول الخالق في الثور او البقرة او الانسان .

وحين نظروا الى منافع النار اذ ترسل لهم الحياة والشمس اذ تنير لهم الاجواء وتسكب عليهم الاشعة خالوها الله ! وحينما اتسعت افاق العلم واتسعت افاق المعرفة الى مجاهل الكون قالوا : ان الله روح وهكذا اخذوا يتطورون بمعرفة الله ووصفه بصفات المخلوقات

لعمر عناية .

(٦) التاسوع : لدى المصريين وحدهم وهو من الامراض التي دخلت على دين ادريس لان مصر القديمة لم تعرف سواه . راجع كتاب ديانة قدماء المصريين تأليف (استندروف الالماني) تعريب سليم حسن – مطبعة المعارف عام ١٩٢٣

حسب تطور معرفتهم للوجود حتى صوره بعض زنوج افريقيا افطس الانف غليظ الشفتين وصوره قدماء اليونان ازرق العينين اشقر الوجه يتكلم اليونانية ويجلس في نعيم ورفاهية ولا يتداخل في امر هذا العالم (١)

ولو انصفت البشرية لادركت ماجاء به الرسل قديما من صفات الالوهية اللائقة بحق خالق العوالم والوجود ولما ضل الناس وتشعبت السبل ولما تشعثت وتفرقت بهم النحل ولما اختلفوا واحتربوا ولما وقع شيء مما يصمي السميع ويعمي البصير !

والحمد لله الذي جعلنا نأخذ حقيقة المعرفة الالهية من اعماق النصوص التي حفظها الله في كتبه المقدسة كما تحفظ المناجم الذهب واعماق البحر اللؤلؤ والمرجان والكواكب الاشعة والاضواء .

اجل ، ان كل ذرة في اي عالم من عوالم الفضاء تنطق بلسان العلم والحقيقة وتنادي : لا اله الا الله الخالق الواحد الابدي وتعالى عما يصفه به بعض عباده من صفات لاتليق ببعض المخلوقات بله الله خالق العوالم في هذا الفضاء .

وكم كانت افكار هذا الكتاب تتراوح في اعماق نفوسنا وثابة مشرقة بالرضوان والمقة وكم كانت تلوح لنا في اعماق نفوس قرائنا وهي تتراوح بالبهجة والرضا والايمان بما هدينا اليه بعد تلاوتهم لها وادمان النظر فيها والتفكير في دلائلها ومآتيها وكم سرنا ان كنا صادقين في ابحاثنا فما نسبنا ماهو من عمل غيرنا وجهود سوانا الينا بل نجهر بكل صراحة ان ما وفقنا اليه في هذا الكتاب من معرفة

---

(١) ستأتي مراجع ذلك في بحث الطفيليات في الجزء الاتي

حول الاديان البعيدة عنا في الشرق الأقصى كالبرهمية التي نحن بصددها والمجوسية والصابئية والزرادشتية وسواها، انهي الاومضات من التحقيق الذي كشفه امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (كرم الله وجهه) اذ يقول : « المجوس أصلهم أهل كتاب » (١) وقبس مما استفاده الأئمة المجتهدون جعفر الصادق وأبو ثور وأبو حنيفه .

وقد افاض العلامة المجدد السيد محمد رشيد رضا في هذا البحث حيث نبه الى أن الامم التي لديها كتب دينية مقدسة : كالمجوس والصابئة والبراهمة وأتباع كونفوشيوس واليابان ، هم اهل كتب مشتملة على التوحيد حتى الان كاليهود والنصارى .

وقال: ان للديانات الوثنية ، أصلا سماوياً، ثم صرت الوثنية الى أهلها، (٢) والذي يدلك على أن أهل هذه الاديان لم يعتبروا

---

(١) نجد فقهاء مذهب الامام جعفر الصادق (رضى الله عنه) قد بنوا على قول الامام جواز نكاح المجوسيات .راجع كتاب (الأحوال الشخصية) لعبد الكريم الحلي وتجده بدار كتب بيروت تحت رقم ٦-٢٨-٤

(٢) قد أفاض صاحب المنار في هذه الابحاث ودلائلها ، افاضة جعلتنا نطلب الى قرائنا الذين يؤثرون التوسعة، أن يعودوا اليها في مواطنها من المنار ج ٤ ص ٤٢٩ و ج ٥ ص ٢٠ و ٣٥ ج ٦ ص١٨٦، وأشار الى قيمتها العلامة المجتهد محمد آل كاشف الغطاء في كتابه «الدين والاسلام» ج٢ ص ٣٦ و ٧٣ . وجمعها محاضرات طريفة العلامة المجاهد الشيخ عبد العزيز جاويش القاها في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة

كمشركي العرب الذين لا يقبل منهم جزية، هو ما جاء عن رسول الله واصحابه، أنهم قبلوا منهم الجزية، ولم يقبلوها من مشركي العرب.

والجزية ضريبة اسلامية طفيفة، جعلها الله مقابل اسدال سجوف الأمن على اهل الاديان ذات الاصل السماوي، الذين آثروا البقاء تحت ظلال اخوتهم المسلمين، ولفظها لايفيد أية اهانة — كما خال بعض المستشرقين — بل هي أجر وجزاء يدفع للساهرين على الامن والسلام، وأما قوله تعالى: «عن يد وهم صاغرون» انما كان ذلك تهديداً في من تمردوا على دفعها، وانك تجدني تهديدات الدول اليوم للذين يتمردون على دفع الاتاوات كلمات أشد مقصودة للارغام على الدفع.

على أن الجزية اذا قيست بضرائب الفرس والرومان قديماً، أو بضرائب الدول حديثاً، كضريبة أرباح الحرب مثلاً، اعتبرت أدنى من الواحد حيال الالف. ونحن نذكر لك مقاديرها لتطمئن، مع العلم بان الاطفال والشيوخ والفقراء والرؤساء الروحيين والنساء، مستثنون. وقدرها ثمانية واربعون درهماً في مدى العام ما يعادل اربعا وعشرين ليرة لبنانية هذا لكبار الاثرياء أما المتوسطون فيكلفون بدفع اثني عشر ليرة والعامل ست ليرات(١)

ويحسن بنا ان نذكر أن أشرف كلمة وضعها الاسلام لاهل الاديان الاخرى وهي «ذمي» نسبة الى الذمة والشرف والعهد، وأنت تعلم مدى تمجيد الله للذمة والعهد. فالكلمتان شريفتان كما رأيت، وما أغبى الذين لايدرسون حقائق الاشياء، ويرسلون

---

(١) راجع تفسير الجواهر لسورة «براءة»

القول على عواهنه ، غير خجلين من فضيحة الحق لهم ، ولله در الشيخ اليازجي حيث يقول في معنى الذمة والذمام :

من رام أن يدخل في ذمامي يأمن من بوائق الايام

ولن يجد الباحثون الدارسون نصوصاً جمة ، في كتاب سماوي يفرض الايمان بكل الاديان المنزلة ، وبجميع رسل الله و كتبهم المقدسة ، ما يجدها في القرآن وفرة .

ونحن نعلم بداهة أن الله ، اذا اراد أن يبلغ عباده وحيه ، فلن تستطيع أية قوة في العالم ، أن تحول دون ذلك .

هذه كتب الدين الهندية والصينية ، تعين أن الوحي الالهي لايرد ، اذ الباطل يزهق والحق يبقى ، والله يؤيده .

وهذه حقيقة مؤيدة بما بين أيدينا من كتب سماوية ، وقد برهنت حوادث التاريخ وشواهده ، والتجربة الانسانية على صدقها .

ها هوذا العهد القديم يعتبر النبي الكاذب ذنباً ، وأن الله لابد أن يبتره « والنبي الكاذب هو ذنب يقطعه الرب » ،(١) أجل ان الله يعلن على لسان داود أنه لايبقي النبي الكاذب « المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عيني » (٢)

وقد أقام الكاتب الكبير « توماس كارليل » في كتابه – الابطال – الآية التي يعلم بها النبي الصادق بقوله « ان الكاذب لاتتم على يده بناية دينية جامعة لكل الحيويات الخالدة» اذ الكذب

---

(١) راجع اشعيا ٩ – ١٤

(٢) مزامير ١٠١ – ٧

لابد أن يظهر ، وقد اكبر الناس هذه القاعدة ، واعتبروها من ابداع الفكر المثقف الناضج ، ولكنك اذا انعمت النظر في العهد الجديد ، وجدتها واضحة ، جلية ، في قوله « احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة »(١) . ووجدته يضع حدا يمكنك أن تميز به الانبياء الكذبة بقوله « من ثمارهم تعرفونهم » لان ثمار وحي الله لن تكون الا معجزة ، واشجار الشوك محال أن تثمر عنباً .

وانظر الى هذه الصورة التمثيلية الرائعة ، التي يصور بها نهاية الكذاب الفاضحة ، المبيدة بقوله : « كل شجرة لاتصنع ثمرا جيداً تقطع وتلقى في النار » . (٢)

وهذا يوحنا اللاهوتي ، يصر بأن الرسالة الكاذبة لن تتم ، وزاعموها لهم من الله في الدنيا النار والكبريت والهاوية (٣) فضلاً عن نكال الآخرة .

وهذا المجلس الروحي اليهودي ، يعدل عن اعدام حواريي المسيح لقول ذلك الحبر الفريسي الكبير « غمالائيل » .

« تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم .لانه ان كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض ، وان كان من الله فلا تقدروا أن تنقضوه ». (٤)

---

(١) مت ١٧ - ١٥

(٢) مت ٣-١٠

(٣) يوحنا اللاهوتي ١٦-١٣ و ١٩-٢٠

(٤) اعمال الرسل : ٥

وهذا خاتم الكتب السماوية القرآن الكريم يصرح بأن الله يقضي على زاعم النبوة قضاء ساحقاً .

« ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ، وانه لتذكرة للمتقين ، وانا لنعلم أن منكم مكذبين » .(١)

فالله كما رأيت من نصوص لن يؤيد الا الصادقين ، واما الكاذبون فانه يبيدهم ويشتت اتباعهم ، وتاريخ الاديان ناطق بهذه الحقيقة ، فكم من متنبئين كذبة ، دق الله اعناقهم وأخذهم أخذا وبيلا ، وهدم بناياتهم ، لان فؤس السلطان الالهي مسلطة على اصول الشجر . (٢)

وهذا حق فان الدعوة الالهية لاتحول دونها الحوائل ، ولا تصدها الحواجز ، مهما كانت قوية وصلدة ، وكل الصادين والحائلين ، انما يحاربون الله ، ومحارب الله لابد ان يهزم !

واذا كان في امكان وزارة المعارف ، أن تضرب على ايدي

---

(١) سورة الحاقة ، لاحظ ان هذا التهديد جاء في المكذبين قبل اعلانهم بالتنبوء .

(٢) راجع اخبار (بركوكبه) اليهودي الزاعم أنه هو المسيح في دائرة معارف البستاني ، واخبار زاعمي النبوة وهم : ثوداس وسيمون وباريشوع ويهوذا في ٥و٨ و١٣ من سفر الاعمال ، واخبار الاسود العنسي ومسيلمة وطليحة وغيرهم في محاضرات الخضري وكتاب « خالد » للاستاذ العلامة المجاهد المفكر محمد سعيد العرفي مفتي مدينة دير الزور

المعلمين الزائفين الذين يحملون رخصاً مزوّرة ، وتهدم مدارسهم ، خشية الاضلال والافساد ، فهل يعجز الله عن ذلك ؟ ؟ .

لا لا : ان الله لايؤيد المتنبئين الكذبة .ولا تنهض النحل القائمة حجة دافعة لنصوص الكتب المقدسة ، فكل جماعة كبرى في العالم تدين بدين سماوي في الاصل له رخصته السماوية لداعيه الاول ، ودخول النحل على الدين السماوي وتشعبها،ناجم عن تقادم العهود، واختلاف الطوارىء والتفسير الحرفي ، اذ يصبح غير صالح للزمن الجديد ، فتكثر فيه النحل والمذاهب ، اعتماداً على الاصل ، ومكابرة لمناهضة الجديد ،المنزل من الله موائماً لطبيعة الازمان (١) . يؤاخي العقل ويحالف المنطق ، فهذه النحل لم تنشر باعتبارها دينا مستقلا، وانما هي كالسلع التي تنشب في الجسم الصحيح وتمتد على حسابه ، وتمتص من قواه ، فلا تكون حجة ناقضة، وانما اتكأ مؤسسوها على رخص دعاتهم الاول ، وقد يكتمون هذه الحقيقة في اعماق أنفسهم ، ومهما طال بهم الامر فمصيرهم الرجوع الى الاصل ، لأن الابناء مهما ندوا عن حضن الام فمآلهم العودة اليه .

---

(١) هذا خاتم الكتب السماوية « القرآن الكريم » جاء بقواعد ، وكليات خالدة ، كعناصر الطبيعة ، فيها كل الحيويات والامكانيات ، الصالحة لكل الاجيال والازمان ، وذلك من سر اعجازه وقد نبه ابن عباس الى هذه الحقيقة بقوله « ان في القرآن معانياً سوف يكشفها الزمن » وفي الحديث « ان هذا القرآن حبل الله المتين في الارض ، لاتبلى جدته ، ولا تنتهي عجائبه » وما اصدق قول الشاعر علي محمود طه :

فغنّ به الاجيال واهتف بآية فما هو الا ملهم اليوم والغد

وكون الاديان الالهية الكبرى، تدركها الشيخوخة ، وتلبسها الطفيليات ، وتكثر فيها النحل المتحاجزة ، وتذويهـــا امراض الأساطير ، حتى تخيل للدارس السطحي، ليست اديانا الهية ، أوحاها الله لاخراج عبـــاده من التناحر الاسطوري (١) ، والتباغض الاقتصادي ، هو من مقتضيات سنة التطور التي تسير بالاجيال من كمال الى أكمل .

والوحي الالهي محال أن لايكون مقوّمـاً لروح الجيل الذي يشرق فيه ، وناهض به الى ما هو اكمل ، ولكنه لايسبق الاجيال بآماد شاسعة تجعله منقطعاً عن الجيل الذي نزل فيه. كما لاينحط معه في اوحال البيئة وبواعث الغرائز المتأخرة ، حفظاً للتوازن .

ولو أن الله اوحى للانسانية ماجاء في الانجيل او القرآن ، في مراحل طفولتهـــا ، لكان عبثاً وسخرية ، كما انه لو اوحى الى خاتم الرسل ، ما اوحاه الى الانسانية في طفولتها ، لكان في معنى الاساطير ، كالجامعيين لو طلبت اليهم أن يعـودوا الى دروسهم في حدائق الأطفال ، ومزاولة لعبها وهذيانها ، لاستلقوا على ظهورهم ضاحكين . اذ ليس في استطاعة العقلية ، التي تتعبد الاساطير ، وتعكف حول تماثيل الآباء والاجداد وتتخذ المكاء

---

(١) يعـــلم القارىء الحروب بين مدينة ومدينة في المملكة الواحدة لاجل سيادة صنم على صنم ، ويعلم آلهـة اليونان الاقدمين الذين يوغرون صدور قوم على آخرين - راجـع الاسر المصرية القديمة والالياذة .

والتصدية والرقص (١) طقوساً تعبدية ، أن نهضم ماجاء في الانجيل « فتشوا الكتب . . . . جربوا كل شيء ، تمسكوا بالحسن » (٢) او ماجاء في القرآن « فبشر عبـــادِ . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » (٣) « قل انظروا ماذا في السموات والارض » .

هل كان في قدرة علماء الدين قديماً ان يقولوا ما يقوله علماء الدين الاسلامي « يحـــرم التقليد في الايمان ويجب البحث والنقد

---

(١) الصفير والتصفيق والرقص والدوران ، وتعيين ألبسة فضفاضة للعبادة ، وتبديلها في غضونها ، مما كان للانسانية في طفولتها وقد افلتت من أيدي الحقب بعضها واندست في الاديان الاخيرة ، حتى رأينا بين المسلمين في عصر الانحطاط ـ رغم حملة القرآن ـ من يعبد الله بالناي والدوران : العبادة البرهمية البوذية ، وقد دخلت مع الترك العثمانيين من دينهم البوذي القديم ، الى طريقة دعوها « مولوية » . ابطلتها حكومة دمشق حديثاً

وانك تجد الترك الآن وقـد استيقظوا من سباتهم بعـد توالي الضربات السياسية التي ألمت بهم ، وفطنوا الى عظمة تعاليم الاسلام السياسية والاقتصادية وروحيته الاجتماعية فعادوا يكفرون عما سلف بتعليم النشأ رسمياً مثل الاسلام العلياوقيم اسراره .

وطالما أصلى الياقوت جمرغضي ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

(٢) راجع يوحنا ٥ـ٣٩ وانس ٥ـ٢١

(٣) راجع سورة الزمر آية ١٧

ومن آمن تقليدا فهو كافر » (١)

وقد تبدو بعض الاديان الكبرى لذوي النظرات القصيرة أنها أديان وضعية ، وأن دعاتها الاول جاؤا بها لاستغلال السذج من البشر وتسخيرهم لترفيه عيشهم ، واحياء ذكرياتهم بعد الموت ، جاؤابها ليملؤا القلوب بأشباح المخاوف ،وخيالات الابالسة ،والرجم والنيران ، جاؤابها ليوهموا ان في بعض اشياء هذه الكائنات آلهة جبارة محطمة تسكنها ، ولا ترضى الا بقتار الجثث المحروقة ، وفواح الدماء المراقة ، وزفرات الامهات اللائي اخذت منهن اطفالهن وقذفوا في لظى النيران (٢) . وهي في الواقع اديان الهية ، وقصر نظرهم لايضيرها ولا يخرجها عن حقيقتها الالهية .

ولدى تغلغل النظر في أعماق مايمكن ان نثق به من نصوص - سواء من طريق التواتر او من طريق العقل والمنطق أو من طريق

---

(١) راجع حاشية الامير علي الجوهرة ، والعجيب ان القديس توما الاكويني الفيلسوف اللاهوتي لم يعط العقل الا الدرجة الثانية فيقول « آمن ثم فكر » رغم نصوص الانجيل هذه التي تطلق للعقل سراح النقد والنظر ، وتفسح له الاختيار ، بيد ان سلفه ابا حامد الغزالي فيلسوف المسلمين ، استطاع فهم مقاصد الآيات القرانية فقال « فكر ثم امن » . بل جعل الشك سبيلا للايمان ، راجع كتاب « الخلاصة اللاهوتية » و « تراث الاسلام » و « قصة الفلسفة الحديثة » و « المقارنة بين الغزالي وديكارت » لعمر فاخوري .

(٢) كالفينيقين الذين كانوا يقدمون ابناءهم قربانا للاصنام

المعالم المادية وخطوط الاحجار وشروع المؤرخين القدامى – نجد جلال روح اولئك الدعاة الاول ،وسمو مثلهم ، بله اضواء السماء ، واشراقات الوحي ، ودلائله الناطقة. فهل في اتباع الوحي،وتأييد الحق ، والتضحية في سبيل اسعاد الانسانية ، واخلاص العبادة لله وحده ، استغلال ؟ ؟ !

اي استغلال للداعي الاول الذي شيد اركان الدين الابراهيمي في بلاد العرب ، ومصر ، وفارس ، والعراق ، والهند ، « الخليل عليه السلام » الذي خرج من « اور » (١) مشرداً محكوماً عليه بالحرق ،وهي ذات القدم الراسخ في الحضارة ، يغادرها الى الجبال والاودية ، آخذاً آله وذويه ومن تبعه، (٢) الى جبال (حبرون)

---

(١) مدينة اورفه اليوم ، كانت منذ خمس وخمسين قرنا في اوج الحضارة ، وآية ذلك شوارعها المكتشفة حديثا ،والعجول المجنحة، ودقة العدد من خـــوذ وسيوف واوان فضية وذهبية ، مرصعة بالاحجار الكريمة ، بـل اكتشفوا دور الطبقة الوسطى من الناس وهي على اتم ما تكون الاناقة، فقوم ابراهيم كانوا في حضارة عليا ، منحرفين في العقائـــد . واكثر الشعوب يداخلها الغرور العلمي والحضاري فتهمل ناحية الايمان بالخالق ، ويؤدي بها هذا الانحراف الى الانحلال الاخلاقي ، والاستهتار بالقيم النفسية فتدركها سنة الله التي لاتتحول في ابادة الشعوب لدى انحرافها ، راجـع كتاب « علم الآثار » ترجمه عن الانكليزية محمود حمزة ومحمد حسن ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ،

(٢) لقد مجد الله اولئك المؤمنين بابراهيم الذين تركوا أوطانهم ناهضين في أعباء الدعوى بل طلب الينا أن نجعلهم أسوة في جهادنا

حيث يتركهم للسما. وما نجود به ،وللارض وما يجهدون فيها ليتبلغوا لعاعة عيش مرير ، ثم يتوجه الى مصر وبـــلاد العرب وسواهما ، يجتاز القفار ، يظمأ ويسغب ، هانئاً برضوان الله ، والسعادة التي تغمر نفسه ،وبهداية الانسانية الى وحدانية الله لتوحيد كلمتها ،(١)

واي استغلال في موسى «عليه السلام» وهو في حساب التاريخ والتقاليد ابن لفرعون مصر ، يترك ملكاً لابد أن ينال فيه الحظوة والسلطان يوماً، كما ناله يوسف من قبل لو ظل وليداً لفرعون عاملاً على مرضاته .

يغادر مصر ونعيمها الى ضفاف الاردن ،راضياً ان يشتغل راعياً صغيراً بأجر زهيد جهد نهاره ، وهزيعاً من الليل ، ثمانية حجج ، لاشيء سوى تلكم الاهداف الروحية الخالدة،التي تزخر بين جنبيه ، وترتاده ليلة بعد ليلة ، مبشرة بمستقبل روحي عظيم ، هذا ادب الله لأنبيائه ، وتهذيب نفوسهم ، والسير بهم الى طريق النهوض الروحي في العالم .

اي استغلال بعد ان يقضي في صحراء التيه اربعين عاماً بين قوم يتربصون به الدوائر ، وهو يعمل لاسعادهم ، ويحيكون له المؤامرات وهو يأتمر لخيرهم وهداهم (٢)

فقال « قد كان لكم اسوة في ابراهيم والذين معه ،اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله » سورة الممتحنة آية (٤)

(١) اشار لهذه الحقيقة المجتهد آل كاشف الغطاء والعلامة محمد فريدوجدي والمستشرق الالماني (ماكس موللر) راجع مقدمة تفصيل آيات القران للمستشرق الفرنسي « جول لابوم» وغاندي

(٢) راجع سفري التكوين والخروج ، وسورتي يوسف والقصص

اي استغلال في المصلح الديني الحكيم « بوذا » الذي آثر الاصلاح الديني والتقرب الى الله على ولاية العهد ، لمملكة تملء عرض الهند عزا وجبروتا ، وطولها سلطانا وقهرا ؟ ! الا ترى أنه آثر ان يظل تحت شجرة (١) عابدا خاشعاً ، مفكرا ستة اعوام ، واي ذكرى يربدها بعد ذكر الملك والسلطان ، وزينة الحياة ورهبة الجند ، وسمو العرش ، وخشوع الخلائق حياله ، وهجر زلفى المؤرخين ، والشعراء المادحين ، والخطباء المقرظين ؟ !

يهجر كل ذلك ليرتدي اسمالا بالية واطمارا رثاثا ، تبين خروقها اطراف جسمه ، وهو خاشع كالملاك ، يستوحي الانوار ويستلهم الاضواء ، يريد الحق والحق وحده ، ويطلب النور والنور وحده ، ويجهد لاسعاد الانسانية ، ورفاهيتها ، وضمد قروحها وندوبها ، يمشي حافي القدمين ، عارى الراس ، داعيا الى الله ، هاديا الضالين ، شجاعاً ابياً ، يقتحم عاصمة البراهمة المقدسة « بنارس » (٢) فريدا طريداً اعزل الا من الايمان وقوى الحق ، التي ملأ الله بها قلبه يلقي خطبته العظيمة ، صارخاً في وجوههم كصرخات المسيح في الهيكل حين شاهد الصيارفة وباعة الحمام ، الذين جعلوا انفسهم وسطاء بين الله والناس ، قائلا « بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص » . (٣)

---

(١) و (٢) دعيت شجرة المعرفة ، راجع تلك الخطبة الرائعة في دائرة المعارف الفرنسية مادة بوذا ـ ، وسيأتي بحث عبادة الشجر لدى جميع الامم في الجزء الثاني .

(٣) مت ٢١ -١٣

هكذا ابتلى « بوذا » بكهان « بنـــارس » كما ابتلى المسيح بفريسي أورشليم ، فهدم ببيانه التقاليد ، وأزال الطفيليات التي دخلت دين ابراهيم ، طالباً منهم الرجوع الى الاصل وهم « يحرفون عليه الارّم » (١) ذوداً عن تقاليد اباثهم . وقد ظل هـذا المصلح الكبير متنقلا من قـرية الى قـرية ، ومن مدينة الى مدينة ، حتى استقر به المقام جوار ملك تشرف بالدخول في دعوتـه ، فأصبح المذبح والعرش متكاتفين . (٢)

اجل احتفى « اسوكا » (٣) بهذا الاصلاح مؤيـدا له بكل مايملك ، وكم ألم « بوذا » حين سمع أن موطن ابراهيم نفسه انحرف عن تعاليمه ، فوضع النـواة لنشر اصـلاحه خارج الهند ، بل ما كاد يغيب شبح « بوذا » حتى راينا مبشريه يجوبون الشـام والعراق وفارس والبلقـان ، ولا يزال اسم « هضبة بوذا » علماً على المدينة المشهورة « بودابست » وقد سادت هناك عقيدة ابراهيم اجيالا ولم تنكمش الا بانتشار المسيحية . (٤)

---

(١) كناية عن شدة الغيظ

(٢) المراد بها الدين والسياسة

(٣) ملك دخـل هو وذووه حظيرة « بوذا » وامر بنقش اصلاحاته على الحجارة ، ونهض هو واتباعه لاذاعتها خـارج الهند فارسلوا المبشرين لمواطن ابراهيم « الشام والعراق وايران » راجع تاريخ « طوائف الملوك » لدوزي و « سوسنة سليمان » ورحلة يوسف كمال ودائرة المعارف الفرنسية .

(٤) راجع كتاب « اذا ملك امرائيل » طبع العرفان

ولما راى اتباعه من غيرته على اصول دين ابراهيم ، التي زيفها الكهان ، واضلوها بين ركام اساطيرهم،قالوا : هو الشخص العاشر الذي تقمصته روح ابراهيم (١) ، والمراد من التقمص في الواقع ما نريده من التشبيه البليغ ، اذ نقول عن الفقيه،المجتهد في المذهب الشافعي ، « شافعي زمانه » او « يوحنا مارون » اذ يضاف يوحنا لمارون لانه جاء مجددا لفكرته وبينهما قرون ، (٢) او كما يخاطب القرآن الكريم مريم العذراء « يا اخت هارون » ، وهو طبعاً لايقصد اخوة النسب ، وانما اخوة العبادة والروح ، كما يقولون للكريم « يا اخا حاتم » وللشجاع « يا اخا عنتره » فهو تشبيه لها ، اما بهارون نفسه او باخته مريم وهي لا تقل عنه عبادة وصلاحاً حتى اطلقوا عليها « مريم النبية » (٣)

---

(١) راجع كتاب « ملوك العرب للريحاني ص ٢٤٥

(٢) ستأتي ترجمة مفصلة في بحث الديانة المسيحية ومذاهبها ومصطلحاتها وعظماء رجالها في الاجزاء الآتية الخاصة بها .

(٣) استعمل العبرانيون لفظة (النبية) بمعنى الصالحة راجع عد ١٢-٤ وخروج ١٥-٢٠ ولو ٢-٣٦ .

وقد ظن بعض الجاهلين في اللغة ، ان القرآن يقصد اخوة النسب ، فراح يسوق النصوص من الانجيل ، على ان العذراء من ذرية هارون - كما هو الواقع - بيانا لتوجيه الاية ، راجع لوا - ٥و٣٦ واما نسبة المسيح الى داود فمن طريق يوسف النجار ، كما جاء في مت ١-١٦ ويقصد بها التربية والتبني راجع عب ٧

واي استغلال في المعلم المحترم (كونفوشيوس) الرجل الذي ذاب فكرا منذ صغره ، لاصلاح الشعب الصيني العريق ، والقضاء على الاساطير التي اندست فيما اتى به الرسل كعبادة الملائكة والارواح والجبال والانهار، (كونفوشيوس)الذي آثر الانقطاع للدرس والاصلاح على وظيفته الرسمية العالية ، ورضى بالكفاف ليقوم بالواجب المقدس . اذ فيه خلاص الانسانية وتوجيهها الى الخير والمحبة .

أي استغلال في مصلح قضى حياته مشمراً عن ساعديه، في نفع الاعداء والاولياء قائلا : (لان يضيء أحدكم شمعة خير من ان يسب الظلام) .

أجل . قضاها ولم يعمل لمصلحة شخصه قط ، وبين يديه ثلاثة الآف تلميذ ، انقطعوا لدراسة ، اصلاحاته والعمل بها وكم كان يحذرهم بقوله :

(لايعمل احدكم الى مصلحته الشخصية فانه يورث الحقد عليه)

أي استغلال في مصلح يرى في نفسه لهفة لاقتباس الفضائل ، واجتناب الرذائل قائلا :

(كل ذي فضيلة قدوتي وكل ذي رذيلة عبرتي) وكم كان يتنائى عن الافكار المنحطة وخواطر السوء حاثا تلاميذه على ذلك بقوله (لاتفكروا في خواطر الشر فانها تفضي بكم اليه) ولم يمت

---

(١)لهذا المصلح اثنان وسبعون تلميذا خاصا هم رجال مجلسه وموطن شوراه ، وذريته للان تتمتع بامتيازات الاشراف في كل الامم .

حتى ذخر لاصلاحه خلاصة (١) مختارة من الاف تلاميذه . هم الذين أشادوا بنايته الفخمة التي لاحت في أبراجها وتلالأت على محاربيها روح دين ابراهيم الذي نادى به المصلحون في الهند والصين وفارس.

وأي استغلال في (لاوتسو) المصلح الصيني الذي المه ان يقدس قومه جبالهم واحجارهم ومياههم وحيواناتهم ، ؟ معتقدين أن الخالق العظيم روح يحل في كل هاتيك الاشياء. المه ذلك فنهض يدعو الى عبادة الله وحده ، مستضيئاً بما اقتبسه من دين ابراهيم . وكم قضي لياليه باكيا اسى على شعبه الجاهل الرازح تحت عسف حكام هم خدمه ، وعلى حسابه يعيشون. اجل بكى اسى ، ولكن بقلب ابي شجاع ، ونفس جبارة مستعدة للتضحية والنضال .....

ها هوذا ينادي شعبه : (ان تعلمتم قضيتم على الدولة الغاشمة) وهذه صراحة تكشف مالمعلم في نفسه من وزن .

(لاوتسو) ولي المراقبة الذي لم يمل التفكر في عظمة الخالق وترديد اسمه ، وتسبيحه اناء الليل واطراف النهار .

(لاوتسو) الذي جعل الحياة سبيلا عمليا للوصول الى (النرفانا) بالذوبان في التعاليم المقدسة .

(لاوتسو) الذي افهم تلاميذه ان المادة جعلت لتقويم النفس وتهذيبها ، افهاماً عملياً ، فأنفق كل ما اجتمع لديه في سبيل الله ، والمثل الانسانية العليا . فكانوا مصلحين مجاهدين قضوا على الاساطير والاباطيل .

(لاوتسو) الذي قال : ان الله ليس بروح يتسرب في الاشياء تسرب النور في الظلام ، ولا الارواح تتسرب فيه . بل هو خالقها

فحسب ، وانما افهمهم أن التسرب والذوبان يكون في كنه الوحي ، واسرار تعاليمه . بهذا الروح سما قومه ، وما أسفو الا حين انتكسوا الى تقديس الجبال والاحجار والانهار ، انتكاساً جعلهم يتركون روح الذوبان العملي في التعاليم ، الى وهم الذوبان الخرافي في ذات الله « النرفانا » .

* * *

وقد سرت عدوى هـذه الفكرة الى اليونان حتى افتتن بها (افلوطين) ودلهته اطيافها المسحورة ، فتعمق في استغراقاتها وتواجدها وقال مالم يقله متأخرو الطاويين ، اذ اعلن أن الانسان يستطيع ان يتسرب في الذات الالهية قبل الموت ، وقد تم له ذلك مراراً . (١) وقد الفينا هذه الفكرة مستطارة في بعض هوسى الباطنية ، وانك تجد اثارها في تركة اديبنا العربي جبران خليل جبران بصورة قوية واضحة (٢) .

ونحن لنا كبير الامل في شباب الطاويين المثقفين الذين يدعون

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة .

(٢) راجع ما كتبه ميخائيل نعيمه عن جبران وعن رثائه لاخته تسمع امثال هذه الكلمات : الله قام ، الله قعد ، الله مرض ، الله مات ، . . . . الخ ، ونستغفر الله . . . . وسيأتي هذا البحث بشواهده ودلائله واثره في اديان العالم كله بالجزء الثاني .

للرجوع الى الاصل الذي رسمه (لاوتسو) من بناية (ابراهيم) الدينية العالمية ، ويحاربون فكرة أن الله روح يحل في الجبال والاحجار والمواشي ، والترهب والانقطاع للذوبان في ذات الله .

نرحب باصلاحهم ونري انفسنا واياهم مستظلين بأفياء شجرة واحدة.هي شجرة الخليل ابراهيم (عليه الصلاة والسلام). وقد بارك جهودهم فيلسوفنا العلامة طنطاوي جوهري في تفسيره ، ممجداً جهادهم ونقدهم الشيوخ الذين يصعدون على قمم الاطواد عاكفين حول النصُب والتماثيل (١) .

اي استغلال في سيدنا المسيح (عليه الصلاة والسلام) الذي يتحدرآله من اشرف اسر الاسرائيليين واحفلهم بالقداسة والحرمة واذخرهم بالرعاية والاكرام .

رسول كبير من أولي العزم يهجر شعبه وهو الذي علم (فريسييه) ولم يبلغ الثانية عشرة من عمره (٢) متجافيا عن كل اسباب المجد والثروة والسلطان ، وبهجة الحياة وزينتها ، يهجرهم

---

(١) راجع حاضر العالم الاسلامي ، ودائرة المعارف الفرنسية وتفسير الجواهر لسورتي (الفرقان والبينة) .

ولما كانت الذات الالهية علمها في لغة اللا وتسيين (تاو) فقد نسبو الى هذا العلمَ ، ولما كانت (التاء) مفخمة قلبها المرحوم الامير شكيب أرسلان (طاء) فقال في النسبة لها (الطاويون) وعلى هذا درج ميخائيل نعيمه في كتابه (المراحل) وسواهما .

(٢) مرقس ٢-٤٨

للعبادة والعكوف في رءوس الجبال حيث لايعلم به أحد ، شأن الرسل ، ضارعاً مناجياً ربه ، منتظراً الساعة التي يخلص فيها شعبه ، المتناحر في سبيل مرضاة الرومان ، والتجسس لهم لنيل فضلات موائدهم ، ونبذهم باليسير مما يعبونه من خيرات بلادهم ، مدرعاً بجبروت العقيدة ،وان كان اعزل، ثريا بربه وان كان متربا .

وهذا شأنه بعد اعلان رسالته ،فانه ما زال يقضي ليله ونهاره، بين أتباع صيادي اسماك معدمين،وعشارين (١). ولكنهم أغنياء اطهار بما حفلت قلوبهم من ايمان .

وكم حاول اعداؤه أن يوهنوا من عزائمه فينذروه ، بفاجعة «يحيى بن زكريا» (٢) أن تصيبه على يد «هيرودس» ان لم يكف، فيثور كالعاصف المهوب مستهينا بهيردوس ودولته قائلا : «قولوا لهذا الثعلب ها أنا أخرج شياطين» (٣)

---

(١) مت ١٨-١٧ ومر ٢-١٦

(٢) لم يكن قتل «يوحنا» لاجل «هيروديا» في الواقع وانما هو تهديد سياسي مباشر لدعوة المسيح وأرهاب لتلاميذه .

راجع مت ١٤ -٣ الى ١٣ والذي يدلك على ذلك احاطة الجواسيس والارصاد بالمسيح ومحاولتهم ايقاعه تحت طائلة القانون بقصة اقامة الحد على المرأة وقصة ما لقيصر لقيصر راجعهما في يو ٨-٣ ومت ٢٢-١٧

(٣) لو ١٣-٣١ يقصد هنا شياطين الاستعمار اذ كلمة شيطان تطلق على الارواح الشريرة من الجن والناس وعلى الجراثيم والامراض الاخلاقية والجسمية وكل مؤذ ، كما سيأتي في فصل الروح لدى جميع أديان العالم .

اي استغلال وقد أجرى الله على يده المعجزات ، من احياء موتى وشفاء مرضى وتكثير طعام واخبار بالمغيبات (١) وهو لايملك كوخاً يأوي اليه حين يأوى الناس الى منازلهم ويستريحون. بل يظل وهو الرسول العظيم ، مشردا من شعاف جبل الى اعماق وادٍ ، ومن حوله عيون الرومان من سفلة قومه ، يتآمرون عليه مع العدو ، وهو غير مكترث ، يقيم موائد السماء أنىّ يجد الغرثى ، ويسكب أضواءها على القلوب المظلمة ، ويطهر أحقاد الصدور بسلسبيل الحب الصافي وغيره المتدفق الطهور .

ولن تجد في عينيه الكبيرتين المستوعبتين لعظمة العوالم وجلال خالقها ، اضأل من الدنيا وزخارفها ، المتهافتة في الفناء ، الخادعة لصغار النفوس ، وذوى المتربة الروحية .

اجل ، لن تجد أضأل منها في عينيه ونفسه الكبيرة الطافحة بالروح والمعرفة والايمان اذ يقول لقومه ، وهم يحسبونه أرسل ليجرر لهم الدنيا ببهجتها ،وطرفها وسلطانها (مملكتي ليست من هذا العالم » (٢) .

---

(١) أخبار ذلك مستفيضة في الانجيل والقرآن واجراء المعجزة بمثابة قوله تعالى « صدق عبدي » وهذا « نيقوديموس » أدرك ذلك حيث قال للسيد المسيح « نعلم انك قد أتيت من الله معلماً ، لان ليس أحد يقدر ان يعمل هذه الآيات التي انت تعمل ان لم يكن الله معه » راجع يو ٣-٢

(٢) يو ١٨-٣٦

وأي استغلال في « سيدنا محمد خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم » الداعي الى الحقيقة العليا التي جاهدوا في سبيلها ، اذ يهجر أندية قومه ليتوحّد في غـــار حراء المتنائي بين الأودية والسهوب المتأبدة الهوجاء ، مستغرقاً في عبادة ربه بصبابة ما بقي من الحنيفية السمحة دين جـده الخليل ، مكتفياً بقليل الزاد ، وجرعات المـاء مفكراً في اصلاح الانسانية المتناحرة ، وعلاج أخلاقها المتداعية ونفوسها المتحجرة .

أي استغلال في رسول من أولي العزم ، يقف في وجه قومـه الأباة الجبابرة ، الذين لايكترثون للحياة بل يرون الموت بالمرهفات والعوالي شرفـــاً مافوقه شرف . وكم ائتمروا به ليذودوه عن تقاليدهم وأوثانهم وروحهم القبلية المجرمة ، التي جعلتهم أوزاعا في الارض ، وشيعاً مستضعفين ، وعبداناً للروم والفرس والحبشة ، من حيث يعلمون أو لا يعلمون . وهوغير عابيء بهم يعلن بطلان آلهتهم ، ويمعن في هدم ما ورثوه عن آبائهم ، مغامراً في الدعوة الى الله ومكارم الاخلاق ، والهدى والحق ، وجمع كلمة الانسانية .

أي استغلال ، وقد أعطاه الله القرآن « الخارقة الأبدية »(١)

---

(١) أفعال الله كلها خوارق ، أي لايستطيع البشر فعل مثلها ، فوجود الكائنات والعوالم السابحة في الفضاء ، هي خوارق دالة على وجوده تعالى فحسب ، وانما خضوعها لنواميسها واستمرارها في أداء وظائفها ، جعلها طبيعية ومعقولة في نظر المشاهدين ، ولو وجدت على غير هذا النظام وهـذه النواميس ، لكانت ايضا في

التي هي آية استمرار رسالته العالمية ، « خارقة » لم تكن محدودة تؤمن بها ثلة تشاهدها ثم تروى فيصبح الايمان بها تقليداً ، «خارقة» تحدى بها المشترع والسياسي والمصلح والعـــالم والفلكي والقائد

نظرهم طبيعية ومعقولة . اذن فالطبيعية والمعقولية انما جاءت لهم لأن الله أوجدها كذلك . فمن هنا كان الايمان بوجود الله واجباً عقلياً ،والايمان التقليدي لمن استطاع النظر والاستدلال غير مقبول.

وأما الايمان بالرسل فان الله يقيم لهم خوارق تناسب أزمانهم وأجيالهم ومدى رسالاتهم ، فالعصا كانت تناسب السحر والسحرة وكانت حقاً آية خارقة جعلت الفنيين من السحرة يؤمنون برسالة سيدنا موسى ، مستعذبين العذاب ،لادراكهم أية خارقة هي . نعم هي خارقة وقتية لأن رسالته لم تكن خاتمة الرسالات الالهية ، ليعطى معجزة أبدية . وأما روايتها لمن لم يشاهدها فتفيد الايمان التقليدي لا اليقيني ، وقل مثل ذلك في خوارق الرسل المروية .

ولما كان الله ارسل سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) برسالة عالمية أبدية وجعله خاتماً للرسل ، أعطاه معجزة أبدية عالمية وهي « القرآن » من أجل ذلك لاينبغي الايمان بالرسالة المحمدية تقليدا ، لأن معجزته الناطقة الدالة على صدق رسالته ، قائمة محسوسة لانها للانسانية ابداً ،بعد أن أوفت الى رشدها العلمي ،وتحكيم العقل والمنطق في كل شيء ، فهي وحدها المعجزة الابدية التي تعطي الايمان اليقيني ، موائمة لروح العصور الحديثة التي لا تؤمن الا باليقين. اذن فالايمان بالخوارق المروية ايمان تقليدي يأباه العقل الحر المفكر . وأغرب ما نسمع أن أناساً يذعنون للخوارق المروية « تقليداً »

والفاتح ... بكل ما يمتازون به من معرفة مطردة متجددة ، وهو القائل لرجل دخل عليه مرتعداً « هون عليك أنا لست بملك ، أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » .

أي استغلال . وهو الذي يقول لقومه : « والله لو وضعتم القمر في يميني والشمس في شمالي، مارجعت عن هذا الأمر، أو اهلك دونه » يقولها مستهينا بكل مفاتنهم وقواهم حتى لو بلغت بهم أن يتسلطوا على نواميس الكون وسنن الوجود ، وينتزعوا الشمس والقمر ، لما صرفته عن دعوته .

أي استغلال في رسول يرضى هو وأصحابه قسوة الحصار، وشظف عيشه ، ثلاث سنوات ، حتى تبلغوا ورق الشجر الجاف ورنق الماء، يرضي

ويأبون مستعبدين للتقليد ، الايمان بالقرآن خارقة الخوارق ومعجزة المعجزات « وعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » .

ومن هنا لو سألنا سائل ، ما هي الحجة على صدق رسالة ابراهيم ؟ لقلنا : عدم احراقه بالنار ، فلو قال الخوارق في الكتب لاتحصى وهي تنسب للكثيرين ، فهي لاتكفي للايمان اليقيني . هات ارني النار التي لاتحرق كي أؤمن ايمانا يقينيا ، لقلنا : ان الله لم يجعل نار ابراهيم باقية الا لأن رسالته لم تكن خاتمة الرسالات .

وسيمر بك في الجزء الثالث مجموعة من البحوث، حول الخوارق في الاديان وفي العلم والفلسفة والواقع ، مع ذكر اوثق المصادر وأصدق النظريات العلمية ، والفرق بين معجزات الرسل وسحر السحرة .

كل ذلك فرحاً مستبشراً، اذ يستشف سمو التربية الالهية من وراء قسوتهم وطغيانهم ، ويرى مستقبل الانسانية الحافل بالهدى والنور، ويرى نفس محاصريه مؤمنين ناهضين في سبيل الدعوة ، وقد كان .

أي استغلال في رسول يقضي نحبه ، وجيشه العرمرم الضخم يجهز لرد عدوان أذناب الروم من عرب الشام !! ودرعه مرهونة على صاع من الشعير لبعض يهود المدينة ! مما ادهش العلماء وحير الفلاسفة والمفكرين ، وانطق شاعرنا العربي ابا محمد ماروف بك عبود فقال :

يا من بموت ودرعه مرهونة قد دست مجد الاصفر الرنان

أللهم هؤلاء رسلك ،وأولياؤك الذين أدبتهم فأحسنت تأديبهم، وهذبتهم فاحسنت تهذيبهم ، وملأت قلوبهم ايمانا بك ، وعمرتها بالحب والتسامح الانساني العام ، وقدستهم وأعليت منازلهم ، وجعلتهم قدوة للانسانية ، ومعالم نور وهدى .

اللهم انا نرفع ابتهالات صلواتنا ، وتوسلاتنا ، الى جلالك راجين أن يكون لنا من حظوظ الدعوة ، وجلال الأسوة بهم ، رضواناً منك ورحمة .

اللهم انا نقدم قلوبنا بين يديك ، ذخراً لدينك ، وانتصاراً للحق ، وحبا للانسانية ، وتقديساً للرسل وايمانا بالجزاء .

اللهم انا نرفع ازكى صلواتنا للرسل جميعاً وخاتمهم سيدنا محمد الذي أنزلت عليه وحيك المعجز ، ذلك الرسول الذي عطانا عنان الحرية، وأوجب علينا البحث والنظر والتفكر ، وجعله

عباده لك (١) وزخر قلوبنا ايمانا بكل رسلك وأنبيائك من علمنا منهم ، ومن لم نعلم (٢). وفرض علينا احترام كتبك ، وجعلنا انسانيين نخشع جمال مثل الانسانية العليا ، التي أوحيتها قدساً لنفوسنا ، وطهرةً لأرواحنا وسلاماً ووحدة ومحبة ، ونجاةً من جبروت المادة ،وتمردها واستخفافها وكبريائها وتقاطعها ،اذكل ما نملك من تسامح ومودة انسانية عامة ، وايمان بكل أديانك ودعاتها الأول ، ومجددي ما وهن من حصونهم، رشفة من روحه ، وقبسة من أنوار شريعته .

اللهم ان الانسانية ما انحرفت عن وحيك ، ولا تنـاءت عن رسلك ، الا أصيبت بشلل الروح، وعقم الخلق ، ومرض الضمير ، وسلاطة اللسان ، وبذاءة الوجدان ، وسوء العاقبة ،حتى أعدبعضها لبعض الحديد والنـار ، وقنـابل الأوباء ولهيب الذرّة : ابتسام

---

(١) جعل الاسلام التفكر في أسرار الكائنات ، والغـاز الوجود والاهتداء الى أعماق النواميس و كشف الخفيات ومعرفة عظمة الخالق وقدرته وجلاله وما يليق بـه من كمال ، من العبـادة وقد طلب الينا عبادة التفكر في مواطن كثيرة فقـال « ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهـار ، لآيات لاولي الالباب » (سورة آل عمران)

(٢) « ولقد أرسلنـا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » « سورة غافر » « ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك » (سورة النساء)

مصنوع بالكيد ، وطلاقة في الوجوه ، على جهامة في الأرواح ، وانكماش عن الهدى ، وقسوة في الضمائر . ألسنة عذاب تنشد ألحان الفجر في بسمات الورود ، وأغاريد الطيور ، على خرير الينابيع ، ونوايا سوداء مكفهرة ، فيها أشباح المقابر ، وأشلاء الجثث ، وظلمات الرموس ، وسموم الأفاعي . حياة كحياة الجحيم . السعادة فيها شقاء ، والشقاء فيها سعادة ، والكذب فيها صدق ، والصدق فيها كذب ، والتنكر فيها أنس ، والأنس فيها تنكر ، التجديف لاكتساب الشهرة ايمان ، والايمان بالله الذي يهدي اليه العلم وسنن الوجود كفر .

* * *

ونود أن نلفت نظر قرائنا الى الأسباب التي نرتكز عليها ، لدى الحمد الذي نتقدم به الى المصلحين والمفكرين الاجتماعيين ملخصة فيما يأتي :

(١) عمق العقيدة بالله مع الاحسان الخالي من الوسائط والاساطير .

(٢) الجهاد في سبيل جمع كلمة الانسانية ، وتوحيدها حول هذه العقيدة السامية ، جهاداً زاخراً بالتضحيات والأعمال الكبيرة الخالدة .

(٣) طهر النفس وسمو مقاصدها ، وتقديم دنياها قربانا على مذبح أهداف الروح العليا ، ولو لهداية معدم (١)

---

(١) قال رسول الله وخاتم الأنبياء « صلى الله عليه وآله وسلم » لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم ، وفي رواية خير مما طلعت عليه الشمس .

(٤) عمق الفكر وتقدير العلم ، تقديراً مقصوداً لاظهار الحقائق وبناء الايمان وازالة الأسداف .

(٥) الاصلاح الذي يقصد به العمل الدائب للرجوع بالدين الى منابعه الأولى الصافية الخالية مما تواطأ عليه المحرفون ، وأسهب به القصاصون .

* * *

اذن : فقراؤنا حينما يروننا نجد شخصية ، فانها لن تخلو من اجتماع بعض هذه الصفات التي جعلناها دستورا لما نأخذ أو ندع .

ومثلنا كمثل طالبي اللؤلؤ يغوصون اليه في كل بحر ، ولا يكترثون لما يعانون من قصف أنواء ، وعصف رياح ، واصطخاب غوارب ومخاوف ، في سبيل ما يطلبون .

وصفوة القول : انا نجد الحماسة في هذا العصر قد بلغت أوجها وأخذت تدفع المفكرين المصلحين في العالم ، أن يدرسوا الاديان الكبرى دراسة علمية ، فيها كثير من الحب والاخلاص والفهم العميق ، بل اخذوا يحرمون الكتابة في دين ما سبهللا .

واننا سمعنا من أعلا منارات الهند ، صوت الزعيم (غاندي) يطلب الى اخوته المسلمين أن يدرسوا البرهمية ، متأملين في صلاتها الوثيقة بالاسلام ، منذ أبعد الأزمان .

ولا ريب أن مثل هذه الدراسة ، تخمد لظى البغضاء ، الذي يوقده النفعيون المنتهزون وقوداً يمزق أشلاء الوحدة الانسانية ، ويديم قطيعتها .

وقد استيقظ الى هـــذا الواجب المقدس ، حكيم الشرق (السيد جمال الدين الأفغاني) لدى زيارته الهند فدرس البرهمية على أفسح نطاق ، متعمقا متسامحاً وكان له من علمائها خيرة الأصدقاء .

وهذه الثورة الروحية الأصلاحية ، التي تحكي في قداستها نار ابراهيم ، قد اعتلجت في قلوب أكثر زعماء العالم ، والمصلحين المفكرين ، اعتلاجاً جعلهم يمهدون سبيل الوحدة الانسانية ، بتأييد الدراسة الدينية العالمية .

ولعل الذي أذكى أوار هذه الرغبة ، في كل أمة ، هو بركان الذرة الذي يوشك ان ينفجر فتقع « الصاخه » .

وان تلك الثورة التي في أنفس أولئك المصلحين ، هي كبيرة في انفسنا ، وجليلة في اعيننا ، بمقدار الشفقة التي تملاء قلوبنا ، لأولئك الذين سدت في قلوبهم مسام الرحمة ، وتقبضت على جشع التملك ، وغرام التسلط ، فأخذوا يجهدون الليل والنهار ، في مصانعهم ينسجون من الحديد والنار ، اكفان الموت الزؤام ، كدود القز ، وهم لايشعرون .

ايه ، ايها المصلحون الأطهار ، الموت والحياة ، والنور والظلمة ، والحق والباطل ، والانسانية والفردية ، والروح والمادة ، تصطرعان في العـــالم ، فليس للحياة من بقاء الا بكم ، اذ أنتم ابتسام الاماني .

وها نحن اولاء نقدم لكم اول اشعاعة مقدسة ، يهدى الانبياء من سلسلة كتبنا السعيدة بالحب الانساني العام ، والروح الديني

العالمي ، وانتم على كلا الحالين منتصرون ، لا ن الاقدار الا لهية المتعهدة بحفظ المصلحين ، ما انهزمت يوماً في وجه المنحرفين حتى ينتصر هؤلاء بالمادة على الروح .

هذا،هذا محال ! وليغلبنهم تفكك الذرة وليبتلعنهم جحيمها(١) « وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز » «٢»

وكم اوجعنا مقتل المصلح الروحي العظيم « غاندي»(٣) اذ فجع الانسانية في اوج مجدها الروحي ، واطهر امانيها الخيرة . انها لم تنس جهاده لأعادة البراهمة الى مثل دين ابراهيم ، والقضاء على فكرة النبذ المدسوسة عليه .

وكم طلب عملياً الى قومه من براهمة ، ومسلمين ، (٤) وسيخ ، ان يرجعوا الى الوحدة الدينية التي تؤلف ذات بينهم ، فصلى

---

(١) راجع مصاب مدينتي « ناغازاكي وهيروشيما » في محاضرة « الذرّة » التي القاها في زحلة ونشرها المهندس السيد علي الحجار

(٢) سورة الحشر .

(٣) راجع جريدة « بيروت » عدد ٢٩٥١ وتاريخ ٢١ ربيع الاول ١٣٦٧ و ١ شباط سنة ١٩٤٨

(٤) فرقة من البراهمة مؤسسها يدعى الغورو نانك ١٣٦٩-١٥٤٦ كأنه يضرب على وتر « بوذا » بالعودة الى تعاليم ابراهيم ، وأتباعه الآن خمسة ملايين ، وسيأتي تفصيلهم - راجع كتاب (الباكستان دولة اسلامية » منشورات دار المكشوف بيروت ١٩٤٧

الصلاة الاسلامية (١) ، وساوى المنبوذين (٢) بنفسه حاثاً الجميع على دراسة الأديان (٣) ليفهموا ما فهم ، فكبر على الذين يحسبون ذلك غير ما جاء به برهمة .

وقد ذهب غاندي الى ربه وظلت هذه الروح قوية ، في أنفس المصلحين والزعماء، ماثلة في قبلات الزعيم الكبير ، « نهرو » لقدمي غاندي قبيل حرق الجثة ، وقطرات الأسى ، التي تفجرت دماً فانياً في كلمات الرثاء ، التي ألقاها زعيم الباكستان ، ومشيد قاعدة مجدها ، مولانا « محمد علي جناح » .

وكم كنا نود أن تصل سلسلتنا هذه الى يده ليرى أي نداء انبعث من صميم روحه فأثار كامن وجداننا .

ولئن فاتنا ذلك فانا نقدمها الى الشعب الهندي العريق ، الى الزعماء ، الى الرجال الروحيين ، الى كل من يدين بالوحدة الروحية في العالم .

أجل نقدمها ونحن نعتقد أن بيت ابراهيم في قلب الاسلام يربطنا بالبرهمية منذ آلاف السنين ، وها نحن أولاء نختتم كلمتنا بترديد ذكره ، مع أمير شعرائنا :

---

(١) راجع ما كتبه الأديب البيروتي تقي الدين الصلح في جريدة أخبار اليوم المصرية .

(٢) سيأتي بحثهم .

(٣) راجع جريدة « المصري » عدد ، ٣٧٤٢ وتاريخ ٨ ربيع الاول ١٣٦٧ و١٩ يناير ١٩٤٨ .

على افريز (رجبوتا ن) تمثال من المجد
نبي مثل (كونفوشيو س) أو من ذلك العهد
قريب القول والفعل من المنتظر المهدي
شبيه الرسل في الذود عن الحق وفي الزهد
لقد علم بالحق وبالصبر وبالقصد
وجاء الأنفس المرضى فداواها من الحقد
دعا الهندوس والاسلا م للألفة والود
بسلطان من الروح يقوي رائض الاسد
وتوفيق من الله ونيسير من السعد
وحظ ليس يعطاه سوى المخلوق للخلد

وانا نؤثر سبيل الرسل ، ونحن نقحم أسداف الحقب ، مكتشفين هدى الوحي الالهي. نؤثره ،وان اعتاد القراء أن يسمعوا ضوضاء الخصومات ، والتراشق بالسقطات الطفيلية على الاديان.

وكل المؤمنين يعتقدون أن الله ما أوحى الى رسله سوى ما يوجب الالفة والمحبة ، اما التقاذف بالسيئات والقطيعة ، فهو من امراض انفسنا .

وهذا المذهب يجعلنا نستخرج الخير ونأتسي به ، ونتنكب الشر لانه واغل مبدد للشمل .

أجل ، هذا مذهب الرسل « صلوات الله وسلامه عليهم » واليك النصوص القطعية الدلالة نعرضها تباعاً :

هذا خاتم الكتب السماوية « القرآن الكريم » تجد فيه « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدواً بغير

علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم ، ثم الى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون » (١)

وهذا خاتم الرسل سيدنا محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أوليصمت»(٢)

وهذا سيدنا المسيح «عليه الصلاة والسلام» يقول: « ان كل كلمة بطّالة يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين »(٣)

وهذا المصلح الحكيم «بوذا» يقول «الخيّر لايفوه الا بالخير»(٤)

وهذا « لاوتسو » يقول : « سكت عن الشر فنجوت » (٥)

وهذا « كونفوشيوس » يقول : « لأن تضيء شمعة خير من أن تسبّ الظلام » (٦)

---

(١) سورة الانعام .

(٢) رواه مسلم .

(٣) مت ١٣ - ٣٦

(٤) قام مذ خمسة وعشرين قرناً مجدداً ما وهن من بناية ابراهيم وأتباعه الآن خمسمائة مليون في الهند والصين واليابان وجاوى ... الخ . راجع كتاب «جغرافيا آسيا» للدكتور كامل نصري ص ٢٢

(٥) قام باصلاحه قبل ستة وعشرين قرناً مزعما ما اقامه «ليونسو» من صرح تعاليم « ابراهيم » وأتباعه الآن في الصين نحو مئة مليون « راجع كتاب صفوت الاعتبار لمحمد بيرم التونسي ص ١٧-٢٣

(٦) قام باصلاحه مذ ستة وعشرين قرنا ومذهبه دين الدولة الرسمي مذ ٢٢ قرنا ، وأتباعه الان في الصين نحو خمسين مليوناً « راجع كتاب الحوار » .

وفي العهد القديم (توراة) «ليتكم تصمتون صمتاً يكون ذلك لكم حكمة » « سكت عن الخير فتحرك وجعي » (١)

وهذا سيدنا ادريس « عليه الصلاة والسلام » يقول : « لم أوثر الشر على فعل الخير » (٢)

وقد نجم عن مرض أهل الاديان بالطفيليات انتحار الوحدتين ، الدينية والانسانية ، — الواضحتين في كل كتاب — على مذبح الانانية والجهل .

أجل ، فرسل الله جميعاً كالحلقة المفرغة ، تجمعهم وحدة الايمان اوائلا واواخراً ، كما تجمع اتباعهم ، اذ طلبوا اليهم ، ان يتقيدوا بهذا الايمان الجامع ، وإنا نقيم لقرائنا الدعائم التي يشيدون عليها طمأنينة قلوبهم .

هذا أقدم الرسل سيدنا ادريس (عليه الصلاة والسلام) جاء في تركته « آمنت بالكتب الالهية المنزلة »

وهذا سيدنا ابراهيم (عليه الصلاة والسلام) تجد في تركته الموزعة في ، البرهمية (٣) واليهودية والبوذية والطاوية والكونفوشيوسية

---

(١) راجع سفر ايوب ١٣-٥ ومزامير ٣٩-٢

(٢) راجع كتاب قدماء المصريين ، المذكور آنفاً

(٣) البراهمة الآن في الهند مئتان وخمسة وعشرون مليونا راجع كتاب « جغرافيا آسيا » للدكتور كامل نصري ص٢٢-٨٧

والزرادشتية (١) والمسيحية والاسلامية ، الدعوة الى الايمان بمن جاء قبله : كشيث وأدريس ومن يجيء بعده .

وهذا موسى «عليه الصلاة والسلام» ، تجد فيما نزل عليه من وحي الايمان ، بمن جاء قبله ومن يجيء بعده من الرسل بنصوص لاتحصى .

وهذا المسيح (عليه الصلاة والسلام) يعلن تصديقه بما جاء به موسى والانبياء ، ويبشر بخاتم الرسل فيقول : « لاتظنوا أني جئت انقض الناموس او الانبياء ، ما جئت لانقض بل لأكمل » (٢) ولو لم يتحقق مجيء خاتم الرسل بعده ، لما ذكر لأتباعه العلامات التي يميزون بها النبي الصادق من سواه ، كما سلف ، ولما جاء في انجيل يوحنا (٣) ، ان قوماً اتوا يحيى بن زكريا قائلين :

ـ ايليا انت ؟

ـ لا

---

(١) قام زرادشت بدعوته منذ ٢٦ قرنا واستظلت برايته فارس وبعض العراق والشام والبحرين والحجاز وكان محل الجامع الكبير في حلب معبداً لاتباعه ، فتقلصت رايته مذ دخول جيوش المسلمين بلاد فارس ، ولهم بقية هم نحو أربعمائة اسرة جنوب فارس وسبعين الفاً في بومباي وجاليتان في زنجبار وعدن ، وقوم في العراق والشام معروفون (باليزيدية) يمتون اليه بصلة ، وهو مجدد لدين ابراهيم ، راجع كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، وخطط الشام ، ورسالة عبدة الشيطان وتاريخ الريحاني .

(٢) مت ٥-١٧

(٣) يو ١-١٩

- المسيح انت ؟
- لا
- النبي انت ؟
- لا

وفي هذه الكلمات بشارة واضحة بايليا والمسيح والنبي (١) وهذا خاتم الرسل سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، يطلب الى الناس بلسان الوحي ان يؤمنوا برسل الله جميعاً ، بمن عرف الناس ومن لم يعرفوا :

« ولقد ارسلنا من قبلك رسلاً منهم من قصصنا عليك ، ومنهم من لم نقصص عليك » (٢) .

فياعجبا أبعد هذه الايات البينات، والدلائل الواضحات ،نتخذ من رسل الله وكتبه المقدسة ، حراباً مسمومة ، نمزق بها وحدة الايمان بين الرسل ، وبالتالي الوحدة الدينية والاجتماعية بيننا .

أيجمل بنا بعد هذه النصوص ، أن نكفر ببعض الرسل ونؤمن ببعض ،ونُقبل على هذا الوحي ، ونعرض عن ذاك ؟ لاشيء سوى أننا ورثنا هذا عن آبائنا واجدادنا ، ولم نرث ذاك !

لا لا ، إن رسل الله جميعاً ! اخوة متحابون ، وإن وحي الله

---

(١) لاحظ (أل) التي للتعريف : مما يدل أن البشارة بخاتم الرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت مستيفضة ،وسترى ذلك بدلائله العلمية الجمة في بحث بشارات الرسل بعضهم ببعض

(٢) غافر .

جميعه حق ، وانا نحن المزقون الجناة ، تقليدا ووراثة وجهلا بقيم العلم والمعرفة ، والعقل والمنطق والانسانية والدين . (١)

أما يفكر أهل الاديان جميعاً ، وأحبارها وسدنتها وعلماؤها ، أن عدم دراستهم وحدة الوحي الالهي في عالم الأديان ، ونبذهم الايمان بها ، هو ما أثار روح الالحاد في كل أمة ، وفتن النشأ عن الايمان ، إذ رأوها في ظاهرها بعيدة عن أن تكون من الخالق ، لأن عقولهم أبت أن تصدق ، أن الله الذي خلق الخلق يريد لهم التمزيق والتفريق وايغار الصدور .

وانا نعلن مواثيقنا - التي تعاقدنا عليها ، نصحاً لأهل الاديان جميعاً وحبا في الانسانية ، وتأسيا بالرسل (عليهم الصلاة والسلام) ورغبةً في مرضاة الله - بأن نواصل جهودنا في اخراج هذه السلسلة الدينية العالمية ، التي تكشف وحدة الوحي الالهي وضّاءً نقياً صافياً كما انزله الله في منابعه الاولى .

نعلنها وقلوبنا ارسخ ما تكون ايماناً بأن أنبل ما يقوم به المصلحون الانسانيون ، هو تضميد كلوم انسانيتنا الحديثة ، بما يبذلون من جهود في اذاعة أمثال هذه البحوث ، اذ لايتم بناء انساني موحد ، بغير بناء روحي موحد ! وهذا لايتم الا بالعودة الى روح الوحدة الدينية الخالية من شوائب الانسان ، وكدورات افكاره ، وتأويلاته وتفسيراته ، واختلاف أغراضه وشهواته .

---

(١) لقد صدق ابو العلاء بقوله :

اذا كنت في كل الأمور مقلداً لماذا ترى أعطاك خالقك الفكرا

والذي جعلنا نغامر باعلان هذة المواثيق ،هو تفاؤلنا بما فوجئنا به من تأييدات من وافاهم نبأ اعدادنا هذه الاجزاء – ولما تصدر– ثقة منهم بحاجة الانسانية اليها .

واكبر اعتقادنا أنها ستلاقي حقها من العناية والاكبار ، بعد درس بحوثها والتغلغل في فهم اهدافها ، فهي تحمل فجر الأنبياء ، واشعاع اضوائه ،وعبيق رياحينه المفتّرة ،بعددجى الليالي الحالكات.

وكم يسعدنا أن تفهم الأمة الانسانية أنها أمة الرسل الكرام ، وأن الرسل ما اعترفوا بأمة سواها (١) ، وأنهم ما جاؤا الا لوحدتها وترفيه عيشها ، لِتنعمَ بأقداس الوحي ، وفيوضات أنواره وطيبات الرزق الخالية من السحت والعسف. « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٢) .

* * *

---

(١) هذه حقيقة عرفها كل اهل الأديان ، حتى قال علماؤنا : ان الانسانية جمعاء هي أمة خاتم الرسل ، فمن أجابوا الدعوة ، أطلقوا عليهم (أمة الاجابة) ومن لم يجيبوا ،اما لعدم بلوغهم اياها أو بلوغها على غير حقيقتها، أطلقوا عليهم (أمة الدعوة). ويريدون بذلك ، أن عدم ايمان امة الدعوة ناشيء عن عدم بلوغها لهم على وجهها الصحيح ، فعلى أمة الاجابة أن تقوم بهذه الدعوة قياماً حتمياً ، لأنهم هم المسؤولون عن أخوتهم ، وما أنفقت الاموال في وجه أفضل من هذا الوجه اذ فيه توحيد كلمة الانسانية .

(٢) الانبياء

ولعلنا لانعدم أناساً ينحرفون عن هدى الانبياء ، ويستوحون أحقادهم ضاربين صفحاً عن كل نوايانا الطيبة ،بمعنين منقبين ليظفروا بما يطفيء أوار قلوبهم ، رغبةً في تمزيق الشمل .

وهؤلاء اما أن يكونوا جاهلين بقيم الوحي الالهي المودعة في هـــذه السلسلة ،واما أن يكونوا منتهزين متاجرين على أكتاف الانسانية الممزقة ،ويؤلمهم أن تجتمع كلمتها ، حرصاً على المرعى الخصيب .

اما نحن فمن يريد أن ينال منا ، فانا نقدم له مغفرتنا سلفاً تأسياً بهدى الله الآتي :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .... واذا مروا باللغو مروا كراما » (١) .

« احسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لاجل الذين يسيئون لكم .... إن أحببتم من يحبكم أي اجر لكم » . (٢) « لقد وهبتكم السماء الغفران فاغفروا » (٣) .

« لايحزنني أن يجهل الناس قدري ، انما يحزنني أن اجهل قدر الناس » . (٤)

« طوبا للرجـــل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار ، وفي

---

(١) سورة الفرقان ٦٣و٧٢

(٢) مت ٥-٤٤ و٤٦

(٣) بوذا – الرؤيا الثامنة من الرامايانا

(٤) كونفوشيوس كتاب الحوار

طريق الخطاة لم يقف ، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس » . (١)

ويكفينا ويكفي الانسانية عظة وايثاراً للكلام الطيب وبالأحرى عن الاديان ، أن نختم هذه التوطئة ، بهذه الآية الكريمة :

« الم تر كيف ضرب اللهُ مثـــلاً ، كلمة طيبة ٌ كشجرة طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء . . . . ومثلُ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » . (٢)

---

(١) عهد قديم مز ١-١

(٢) سورة ابراهيم ٢٣و٢٤

الناموس

أو أصول الوحي الالهي في الاديان

نعتقد أن جمهرة قرائنا اذا أنعموا نظرهم في طبيعة العوالم ، يجدون لها نواميسَ وسننا يسمونها طبيعية أو فطرية ، وذلك لأن الله فطر عوالمه عليها وطبعها وأجرى عليها أقداره ، فهي لاتنفك وفق مقتضياتها وهيمنتها .

بيد أن هناك ناموساً أعلى من كل هاتيكم النواميس وأخلد ، الاوهو ناموس الايمان الاعلى ،المتعلق بكنه الخالق العظيم ،وحقيقة معرفته ، كما هي في الواقع ونفس الأمر .

أجل تتغير نواميس الوجود الفطرية بتغير الوجود ، وتداعي العوالم وانتثار الكواكب ،وانطفاء الشموس والاقمار ،أما ناموس الايمان بكنه الله فهو سرمديّ ، دائم لايحول ولا يزول ولا يتغير ولا يتبدل ، سواء ظلت العوالم أو زالت ، وسواء وجد من يفقه ذلك ، أو لم يوجد . لانه متعلق بالله الخالق السرمدي الذي لايحول ولا يزول ولا يتغير ولا يتبدل .

نعم ناموس الايمان بـه تعالى ، وبما أوحى من دين على رسله جميعاً له دلائله وشواهده ، من نواميس الكون وسنن الاجتماع ، وهو يتجلى في عشرة أصول: أربعة نجدها في أعماق نواميس الكون، وستة ظاهرة في سنن الاجتماع واليك هي :

١ – الايمان بوجوده تعالى قبل وجود العوالم ، لأنها صنعة وهو الصانع ، ولأنها مخلوقة وهو الخالق . والايمان بوحدانيته ، لأن التعدد من شأن المخلوق ، وما جاءت فكرة التعدد الا بعد ادراك المخلوق معنى التعدد ، من الكائنات المتعددة بين يديه ، والا كان الله ولم يكن معه شيء .

هذا الأصل العظيم ، هو ما تنطق به طبيعة العوالم ونواميسها ، بعد العلم بأسرارها ، وأبعادها واتساعها ، وهو روح الأديان الالهية جميعا ، والحقيقة الاولى فيها ، كما سيوافيك مستفيضاً في جميعها (١)

٢ – الايمان بالرسل تدل عليه حاجة المخلوق الى كمال معرفة الخالق ، وهذا لن يتأتى لمن يجهل الصنعة واتجاه نواميسها ، وقد مرت الحضارات المتطورة ، واتسع نطاق العلم ، وامتد الى معرفة الكثير من العوالم والسنن ، بالنسبة لما كان يجهله ، ولكنه في الواقع لايزال في العتبة الأولى من معرفة صرح هذا الوجود الفخم ، ووراءها عتبات وأبعاد تحتاج الى حضارات وأجيال باحثة متبتلة ، للعلم والمعرفة .

إذن فنقص معرفة الانسان بحقيقة الكائنات محقق ، ولن يكون معه كمال المعرفة بحقيقة المكوّن فلا بد من الوحي الالهي ليدرك الانسان كمال الصانع ، والله الذي أتقن كل شيء صنعاً محال أن يترك هذا الانسان غارقاً في أوحال ظنونه ، وظلمات أوهامه ، بالنسبة للعقيدة بوجوده ، اذن فلا بد من الرسل ليبلغوه الايمان

---

(١) كنا نحاول افراد جزء خاص بها ، وقد كفانا ذلك الكاتب الكبير الاستاذ العقاد .

الصحيح والمعرفة الصادقة .

والذي يدلك على ضرورة هـذا التبليـغ ، أن الانسانية ما انحرفت عن حقيقة الوحي الالهيّ في معرفته تعالى ، أو حرفته، أو تجاهلته، أو تناءت عنه ،او زهدت فيه، او حاربته ،الا سقطت في احد أمرين مخيفين :

اما أن تعبد المخلوقات سواء كانت معنوية او مادية ،من ارواح وملائكة وجن ، وشموس و كواكب وأبقار ونار ومياه ، إذعانا لغريزة الايمان الفطري،التي أودعها الله في طبيعة التركيب الانساني، وإما كفرٌ بوجود الخالق اغتراراً بالذاتية المضمحلة في غمار الوجود، وهؤلاء يظلون في حرب دائم بينهم ،وبين غريزة التدين ، وكل ما يدفعون به ثورتهـا من معاذير ، أن البشرية تعبد عوالم الوجود ، بل تعبد افـكارها وأوهامها ، حين تعبد الخالق الذي انخذته من بعض عوالم الوجود ، ولكنهم لو وجدوا الهدى، الالهي كما جاء به الرسل لما انحرفوا ، اذ تأبى ذلك فطرتهم مادامت سليمة .

٣ – الايمان بالبعث :

هو عين اليقين لان الارواح أصبحت تناجي العلماء في نواديهم، حتى استفاضت معرفتها بينهم ،واكثروا في ذلك المؤلفات ، واذا لم يكن الا بقـاء على الارواح بعد تداعي الاجسام ، للانتقال الى العالم الثاني فلماذا هو ؟ ! والعلم قديماً لم يصل الى ادراك الأرواح وكنه البعث ، إذ لم تتوفر لديه كل الوسائل والحريات للدرس ،التي توفرت اليـــوم ، اذن فلا بد ان تكون معرفة ذلك من طريق الوحي،على أننا لانزال في اول ومضة من ومضات المعرفة وأول فسحة

من نفحات الحرية ، وبعد ذلك ستكون اشراقات وحريات لاتتناهى ، ناهيك والوجود كله ليس فيه عبث ، فان كان كل المقصود من خلق الانسان أن يحطم ويعدم اعداماً أبديا بالكيفية التي يزعمها الدهريون فذلك هو كل العبث المنزه عنه خالق الوجود . (١)

٤ – الايمان بحب الانسانية العام .

غريزة اودعها الله كغريزة الايمان به تعالى، نجدها في الحيوانات أيضاً ،وقد رأى العلماء خوار الثيران اذ تشاهد ذبيحا منها .

ولما كان الانسان الفطري عاجزا عن تنظيم الغريزة ودوافعها تنظيماً انسانياً عالياً ، يكفل التآخي العام ، جاء التنظيم من طريق الوحي الالهي .

والانسان مهما تطور وتثقف ومهما ابتكر من دساتير ، فهو في حاجة الى الوحي ، اذ هو وليد القوميات ودوافع الغرائز ، ولا ريب أن الانحراف عن الوحي يودي بأواصر الاجتماع الانساني .

ها هوذا الوحي الالهي منذ اربعين قرناً، ينادي الانسانية على لسان ابراهيم ، الى الالفة والاجتماع من كل فج عميق ،وبلاد نائية ، ليضربوا باقدامهم النخوم التي يضعها الاقوياء لاستغلال الشعوب ، وتمزيق الكلمة :«وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق،ليشهدوا منافع لهم » (٢) وضرب ابراهيمَ

(١) يرى افلاطون معرفة الله وخلود الروح شرطين لازمين للمدينة الفاضلة ، وسقراط حين موته يتحقق ذهابه الى قوم أصلح .

(٢) سورة الحج .

للتخوم بتقديمه مستفيض في تركته .

هذا المصلح الابراهيمي « بوذا » يقول: « لاتضع حداً بين أمة وأمة » (١) اذن فابراهيم امام البشرية الروحي الموحد مذكان ، « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال اني جاعلك للناس اماما » .

٥ – القتل

الحياة حق منحها لهذا الانسان ، فليس لاحد أن يسلبه اياها ، وحفظاً لها ، خلق فيه غريزة حب الحياة ، وغريزة الخوف ، وغريزة الدفاع عن النفس ، اذن فهي شيء عظيم جدا ، بل اذا أنعمنا النظر في مجموع الغرائز ، نجدها تؤدي لغرض واحد هو حفظ الحياة ، وحياة كل فرد لها كل هذه الاعتبارات المقصودة في اصل الخلق ، والاعتداء عليها اعتداء على كل ذلك ، والانسان عالم مستقل ، فاعتبار حياته في صميم الاجتماع ، لاتقل عن اعتبارها في صميم التكوين ، فالمجتمع الانساني بأسره لايستطيع ان يعيد حياة اي

---

(١) راجع الرؤيا الثامنة من « الرمايانا » وهذه مسألة معروفة في الاديان ، حتى ان سيدنا المسيح قرن العشار بالوثني وكان يجالس العشارين محاولا اصلاحهم فانتقده احبار اليهود فقال « الأصحاء لايحتاجون الى طبيب » ولما رأى المسلمون محاربيهم يأخذون من تجارهم عشورا اذا دخلوا بلادهم شكوا ذلك الى امير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه فكتب (خذوا ممن يأخذ منكم) فهي مقابلة الضرورة بالمثل واما وضع الحدود واخذ العشور بين المسلمين انفسهم بل ومساليهم فجريمة .

فرد ، وأقل استهتار بحياته ، استهتار بحياة المجموع ، من أجل ذلك اعتبر قتل الشخص الواحد قتلاً للانسانية جمعاء ، لأن الجرأة والاقدام على هذا الحق الذي لايكون الا لله ، هو نفسه اذا استعمل في اعدام الجميع ، اذن فالقتل محرم بمقتضى نواميس الاجتماع تحريما أبديا ، وهكذا تجده في الوحي مطلقاً .

٦ - الزنا : خلق الله الغرائز وجعلها مندفعة اندفاعاً طبيعياً تلقائيا غير محتاجة الى الادراكات العقلية لدى مزاولتها ، ولما كان بقاء الانواع ، واستمرار الحياة ، من مقاصد الارادة الالهية العليا ، جعل الله غريزة الميل الجنسي فطرية في كل ذي حياة ، وهي وإن كانت لها امتيازاتها علوا واسفافا وفق درجات الاحياء ، الا ان هدفها الاعلى واحد وهو بقاء الانواع .

ولا ريب أن الوضع الفطري لمطالب هذا الابقاء هو حسب مقتضياته ! فالميل الجنسي القطيعي جُعل للحيوانات الدنيا كالذئاب والحمير والكلاب والخنازير !! واكملا للقصد منه كان التنائي طبيعياً بينها ، والميل الجنسي السامي جعله الله للحيوانات العليا ، كالحمام والاسود ! ! ولما كان الانسان أسمى الأنواع وأرفعها تهذيباً ، زوده الله بالعقل ، وجعل لميله امتيازات لانجدها حتى في الحيوانات الراقية !

نعم غريزة الغيرة المقصودة للذود عن حقوق الاختصاص ، وإن كانت في الحيوانات الراقية ، الا انها في الانسان محاطة بالتهذيب نعم قد تضعف الغيرة في بعض الشعوب المتوحشة (١) لتأثير

---

(١) راجع جريدة النضال البيروتية تاريخ ٤ شباط سنة ١٩٤٨ وعدد ١٩٨٧ للعام التاسع .

بعض الاوضاع البيئية، فتسقط المعنويات السامية في بعض الأسر، على أن مثل هذا السقوط نجده في الاسر المتحللة، التي أخذت من الحضارة حظها الموفور.

ومن هنا يمكنك أن تدرك هـــذه النتيجة التي تعرض عليك الانسان وهو في أسمى درجات الحضارة، وأحط دركات الوحشية، في ثوب واحد، مادام متجافيا عن وحي السماء، ومثله العليا وتهذيبه، على أن هذا التحلل الخلقي في كل امة، بداية التحلل السياسي المحتوم

٧ - الكذب.

الواقع هو الحقيقة، والله سبحانه زود الانسان بالحواس الخمس لادراك الواقـع.

فالصدق هو التحدث عن الواقع كما هو مدرك بوساطة الحواس والعقل، وأقل انحراف مقصود للتحدث عن غير الواقع هو الكذب، خذ مثلاً هذه سفينة راسية في ميناء، وادركتها بحواسك فحين تحدث عنها حديثك المطابق للواقع هو الصدق، ولما كان أيّ انحراف عن الواقع، يؤدي الى اختلال سواء من جهة العقائد النفسية، او من جهة المعاملات في المجتمع، وهذا الاختلال له أضراره البالغة، كان من الطبيعي تحريم الكذب، وتحريمه اجمعت عليه الرسل وهو اصل من اصول الناموس!!

٨ - السرقة.

أودع الله غريزة حب التملك في الانسان، والغريزة في سعيها هوجاء عاصفة، اذا لم يكن لها حواجز من التشريع، تكفكف من

طغيانها وتهذبها ،وتسيرها وفق المصلحة ، أي تعطيها حقها ، وتأخذ حق الغير منهـــا !

من اجل ذلك كان من الطبيعي في كل أجتماع،ان يحترم الملك الشرعي احتراما تفرضه ضرورة الاجتماع ، وكل خرق لقدس هذا الاحترام هو إثم ،اذن فالسرقة اجترام محرم بمقتضي سنن الاجتماع ، ولن تكون في يوم مباحة" لان ما حرمته السنن الاجتماعية كما خلقها الله لن يكون حلالا ابدا، فان صح أن يأتي يوم يبقى الوجود وقد تخلفت سننه ،يصح أن يأتي يوم يستقيم الاجتماع ، وقد ابيحت السرقة ،من اجل ذلك كان تحريم السرقة احد اصول ناموس الوحي الالهي العـــام .

٩ - احترام الابوين .

انك تجد غريزة الابوة والامومة الطبيعية ، توجه قوى الابوين وجهودهما لرعاية اطفالهما ،وحفظ حياتهم ، ولن تجد بين الغرائز ما يشاكل هذة الغريزة ، في تكاليفها واعبائها الفادحة ، فهي سنة طبيعية ، وناموس فطري ، فكان من الحكمة أن تنشأ حيالها سنة اجتماعية، وهي اكرام الابوين ومحبتها، والسعي في خدمتها، وطلب رضاهما ، تقابل السنة الغريزية اتماماً لحفظ الحياة ، وتنظيماً لبقاء الاسرة ، وتوثيقاً لاواصر المحبة والالفة ، لانهـــا من عناصر الناموس الابدي .

وانك تجد الشرائع الالهية منذ أيامها الاول الى يوم اختتامها بالقرآن ، طافحة" بالحث على طاعة الابوين كما سيمر بك مفصلا .

١٠ — اليوم الاسبوعي .

جعل الله الاجتماع غريزة في كثير من الحيوان كما جعله غريزة في الانسان ، ولما كانت ادراكات الانسان اوسع مجالاً ، وأجدى عائدة ، كانت غريزة الاجتماع ، لها اثارها الكبيرة ، حتى في سنن الاجتماع !

فأي حاجة من حاجات المجتمع ، سواء في عصوره الحجرية او الحديثة لاتتم الا بالاجتماع ، والوحي الالهي في كل الاديان ، جاء مطالباً الرسل وامهم بفريضة اليوم الاسبوعي التعبدي ، اذ به تعالج روح الفرد والجماعة ، وتطهر من امراضها الاسبوعية .

وليس من المعقول أن يقضي الانسان كل ايام اسبوعه في اجتماع مفروض ، وهو مطالب بأسباب المعيشة وتدبير الحياة ، من أجل ذلك ، كان هذا الاجتماع يوماً في الاسبوع ، ولكن الوحي الالهي لم يجعله يوماً بعينه لكل الرسل خشية أن تعبده الامم ! ! ولم يفطن ابو العلاء المعري لهذا الحكمة فقال ساخراً .

لنا جمعة والسبت يدعى لأمة أطافت بموسى والنصارى لها الاحد(١)

كما لم يفطن يهود يثرب لحكمة تحويل القبلة الى بيت ابراهيم ، إذ خالوا ان الله لايقبل الصلاة الا الى الجهة التي يصلون اليها ، ولو فطنوا الى أن الله ليس له جهة لما اعترضوا ، على ان القلب الانساني اينما توجه يجد الله « أينما تكونوا فثم وجه الله » وانما المقصود من وحدة التوجه في الدين الواحد النظام والجمال .

---

(١) سياتي في الجزء الثالث ابحاث ضافيه لاسيما عن فرقة السبتيين

يحس جمهرة قرائنا الآن بالغبطة تخالج نفوسهم ، والرضا يملأ قلوبهم ، لما عرفوا من أصول الوحي الالهي العشرة ، كما تؤذن بها طبيعة الوجود ، وفطرة الاجتماع . وكم تُرْبي في أنفسهم الغبطةَ ، وتضاعف الرضا ، حين نعلنهم أننا ما كتشفناها من تركة ادريس ، « عليه الصـــلاة والسلام » التائهة في مجاهل اختلاف اللغات ، ولا نفضنا عنها طلاسم خرافات الكهان ، وغيوب الاحـداث ، ولا انتزعناها من مخالب القرون التي طوح بهـا الزمان ، حتى تقرحت مآقينا درساً ونظراً نابشين ، مدافن الآثار ، واعماق الأسفار .

أجل ان ادريس « عليه الصلاة والسلام » هو الرسول الذي زار هذا العالم قبل الخليل بأحقاب، وترك ثروة روحية هي مفخرة وذكرى ، وهي وان بعثرت في ظلمات النواويس ، فقد توفقنا لجمعها واستخلاص أصول الوحي العشرة منهـا ، لأنها ظفرت بنقشها على الأحجار، بما لم تظفر به تعاليم الرســل من قبل ، وقد وجدنا آثاره الكبيرة في مصر والصين واليونان والفرس ، وهاهم اولاء قراؤنا يجدوننا نبادرهم بهـا :

الاصل الاول من الناموس الايمان بالله الخالق الواحد :

ان الايمان بالله الخـالق الخفي « أمون » ، الذي ليس هو من أشياء الـكائنات المرئية ، متجلٍ من تركة ادريس المحفورة في الآثار المصرية الى اليوم . اذ جاء « آمنا بالله الواحد الخفي » (١)

---

(١) كل ما تجده مما يتصل بتركة ادريس راجعه في كتاب « قدماء المصريين » و « تفسير الجواهر » .

فقد أرسل ادريس لمحاربة الالهة المتخذة من أشياء الكائنات ، كما أرسل الرسل من قبل ، وبعد تطاول الزمن ، بالغت الاجيال في تقديس ادريس واكباره ، وتوجيه الضراعة اليه ، والاستنجاد به ، والدعاء له ، فيما يطلبون ، حتى خرجوا به عن انسانيته ، ورفعوه الى درجة الالوهية ، وقد وضع غلاة الكهان قصصا كثيرة في تأليهه حتى قالوا : « ان الكتب التي أوحاها الله اليه ، انما كانت منه واليه » .

واذا أخذت تدرس هذه الكلمات الحمقاء تجدها تسربت ، الى دين ابراهيم ، اذ دعا في الهند وغيرها الى عبادة الخالق الواحد رب الكائنات : « براجاباتي » ، ولكنّ تقديس الكهان وتوسلاتهم ، ومبالغات الأجيال ، جعلت إبراهيم ، هو الله ! ونسي اسم « براجاباتي » كما نسي في مصر اسم « أمون » ، فقال الكهان « إنما أوحى برهمة إلى نفسه » وهذا جرثوم مرض الشرك الطارىء المزمن .

هذا هو الأصل الاول من الناموس ، وإليك بعض الأدعية المحفوظة لدى المصريين من تركة ادريس : « مولاي وإلهي أنت الذي خلقتني وصورتني وجعلت لي عينا أبصر بها آثار قدرتك ، وأذنا اسمع بها تقديسك ، أنت الله العظيم الواحد ، مالك السموات والأرض وجميع الكائنات » .

وها نحن اولاء نرى الأرواح واقفةً بين يدي إدريس للدينونة ، متبرأةً من الشرك بقولها : « لم أجدف » .

٢ ـ الاصل الثاني من الناموس « الايمان بالرسل » .

هذا الأصل تجده واضحاً في قول الأرواح لدى المحاسبة : « لم أخالف كتب الوحي المنزلة » . والارواح تعلم أن إدريس جاء بوحي منزل من الله، وتؤكد للمحكمة، أنها لم تخالف تلك الكتب.

ونكفكف هنا من الاسهاب ما استطعنا، ونطلب الى قرائنا، أن يجهدوا قليلاً ويرجعوا إلى الفصول المسهبة التي نقلها الفيلسوف العلامة طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر ، والنصوص المجموعة من شتى آثار المصريين القدماء ، والآثار المكتشفة ، في الصين واليونان . لأن رسالتنا لاتحتمل كل ذلك الاسهاب .

٣ – الا صل الثالث من الناموس « العالم الثاني » .

نحسب قراءنا سيجيلون أعينهم في هذه الصفحات باحثين عن الأصل الثالث في عقيدة إدريس ، ويسرنا أن نهمس في آذانهم ، أن الاهرام آية مادّية على الايمان بالعالم الثاني ، كما جاء به إدريس للمصريين ، فهم يحنطون الجثث ويحفظونها ، لأنهم لايعتقدون أن الارواح وحدها تبعث ، وأنها تلبس أجساداً جديدة يخلقها الله ملائمة للعالم الثاني ، بل يعتقدون أن نفس هذه الاجساد تبعث ! وما ترك الأرواح لها، إلا فرصة تستريح بها قليلاً من عناء الحياة ومتاعبها ! ! على أنا لانجد الايمان بخلود الارواح والحساب والعقاب والعالم الثاني والجنة والنار، في دين كما نجده في تركة إدريس لدى المصريين القدماء(١)

(١) ومن مبالغاتهم في عقيدة البعث ، جعلوا يتركون في نواويس ملوكهم تماثيل غادات مقطوعات الأرجل ، إذ يعتقدون أن الروح حينما تهبط تحيي حتى التماثيل وخشية فرارهن جعلت ارجلهن مقطوعة ، وكان هذا بعد الكف عن ذبح الفتيات على قبر سيدهن ليخدمنه ! !

٤ - الأصل الرابع من الناموس « محبة الناس »

هذا الاصل تجـــده ماثلا في دفاع الروح عن نفسها بين يدي « محكمة الارواح ». وعن أي شيء تدافع الروح ؟ انها تدافع عن التعاليم السامية التي أوحاها الله لادريس ، وقيد بها شعبه ليكونوا إنسانيين متحابّين ، قلوبهم مفعمة بالروح الانساني العام ، والمواظبة على التمرس بالأوامر التي فيها تحقيق ذلك ، ها هي الروح تقول : « لم أفترِ . لم أشِ . لم أظلم أحداً . لم أسيء إلى إنسان قط . لم أوثر الشر على فعل الخير . بذلتُ خبزي للجياع وماني للعطاش كسوت العاري . لم أعاشر دنيئا . لم أرفع نفسي فوق مرتبتها . لم أغش إنساناً . لم أخسر الميزان . لم أطفف الكيل . لم أحنث في يميني . لم اشته مال غيري . لم أخالف الأوامر الالهية ولا الكتب المنزلة . لم اغتصب شبراً من أرض . لم أتلف ارضا زراعية . أنا طاهر ، أنا طاهر ، انا طاهر . وبما أني مبرأ من كل هذه الآثام . أرجو أن أكون من الفائزين » .

لعل قراءنا يحمدون أن نختصر لهم البحث ما استطعنا ، ما دام الايجاز يفضي إلى المقصود ، من أجل ذلك نثب بهم الى النصوص التي وردت في بقية أصول الناموس وثبا .

اجل تقول الروح :

٥ - « لم اقتل نفساً ولا حرضت أحداً على أرتكاب القتل » .

٦ - « لم أزن . ولم أشته امرأة قريبي » .

٧ - « لم اسرق » .

٨ - « لم أكذب » .

٩ - أما احترام الابوين ، فانا نجد المصريين القدماء يقومون بهذا الأصل بغرابة، فهم لايكتفون بالوفاء لهم في حياتهم، واكرامهم والاصغاء الى نصائحهم ، بل ينتقلون معهم إلى المقابر ، ويقيمون الأيام والليالي حولهم، وينحتون لهم التماثيل، ويقدسون أرواحهم، حتى بالغوا في تقديسها مبالغة أفضت بهم الى عبادة أرواح الاسلاف(١).

١٠ - اليوم الاسبوعي: إن احفل الايام الاسبوعية ،في الاديان ،يوم قدماء المصريين الاسبوعي إذ كانوا يجتمعون في يوم السبت الذي ورثه منهم الآشوريون اجتماعاً حاشدا في أضخم المعابد ، المشيدة باسم ادريس ولمبالغتهم في تقديس هذا الاجتماع حرّموه على الصعاليك ورعاة الخنازير (٢) .

* * *

رأى قراؤنا كم عانينا من جهود ومشاق، حين استخلصنا أصول

---

(١) عبادة ارواح الاسلاف احتلت في العالم صفحات عديدة ولاتزال سائدة لدى بعض متوحشي افريقيا « فيتيش » وبعض الصين واليابان وسيام ومما يفخر به تاريخ المصلح « كونفوشيوس » وقوفه ، في طريق الاستغراق في التفكير بالروح بقوله « إذا كنا قليلي المعرفة بالجسم ، فكيف نحاول معرفة الروح ؟» راجع كتاب « الحوار »

(٢) جعل كهنة قدماء المصريين أنفسهم وسطاء بين الله والناس فمنعوا الطبقة الفقيرة من عبادة الله مباشرة ، كالناموسيين الذين خاطبهم سيدنا المسيح بقوله « ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ، مادخلتم أنتم ،والداخلون منعتم لو ١١-٥٢».

الوحي من تركة إدريس ، المبهمة في حنادس الاساطير .

والآن ، و « أبو الانبياء » إبراهيم ، أدنى الينا أزماناً ، وأوفر مراجع، وأوسع آثاراً ،وأذيع اسماً ،في أمم شتى، وأديان كثيرة، وهم أشد ما يكونون لهفة وانتظارا ، لاستعراض أصول الوحي من تركته ، وإنهم ليحمدون الينا جهودنا ، لانهم يدركون أن إبراهيم ما كان أباً للانبياء ، الا لأن تعاليمه هي النواة الاولى ، التي تفرعت منها الاديان العالمية الكبرى بعده ، فتعاليمه اصل السرحة ،والاديان فروعها ، وليس بعيداً إذا انعم أهل الاديان أنظارهم ، وحرروا عقولهم ، وآثروا الحق ، أن يحسوا أنهم اخوة تجمع ذات بينهم أصول سرحة الدين الابراهيمي التي يسعدون بأفيائها الندية الوارفة ، والتي تذود عنهم ، هجير الاساطير ، ولفح الفضاء وسموم الافك .

قد يكون من العسير أن نستخرج آثار مدينة قديمة ،من بين الانقاض التي شيدت فوقها قصور مدينة جديدة ، وقد يكون أشد عسراً أن تظهر خارطة المدينة القديمة ، بما نهتدي اليه من بقايا الآثار والخطوط الدفينة ، وهكذا يخالط اليأس قلوب الكثيرين، ويقعد بهم عن التنقيب مستريحين الى ما بين أيديهم .

أما نحن، فحسبنا سعادة ، ما نستخرج من الآثار ، ونكتشف من النصوص لتكون لنا ركائز نشيد عليها أصول دين إبراهيم في « البرهمية » واليك الادلة التي استخرجنا منها أصول الوحي ، كما جاء بها إبراهيم :

الاصل الاول: جاء في الفيدا:

« في البدء كان الموجود واحداً لاثاني له (١) ، فأراد أن يوجد موجودات كثيرة فخلق النور،.... إنني انا الله نور الشمس وضوء القمر وبريق اللهب ، ووميض البرق ، وصوت العاصف والاريح

---

(١) التثليث البرهمي مرض طرأ على البرهمية بعد إبراهيم بقرون، وشباب البراهمة المثقفون اليـــوم ، يفهمونه فهماً لايناقض اصل الوحدانية ولا العـــلم ، إذ يعلمون أن « إبراهيم وسيفاوفشنو » « الثالوث البرهمي » ذابوا في معرفة « البراجاباتي » : (الله) ذوباناً جعلهم لايطلبون الا مرضاته ، ولا يقصدون في أعمالهم الا وجهه ، حتى أيدهم الله بالخوارق ، فهم آلهة اي مؤيدون من الخالق العظيم كما جاء في التوراة في سفر الخروج ٧-١ «وجعلتك الها لفرعون» اي مؤيداً بالخوارق القاهرة له . وحينئذ يكون استعمال لفظة الاله ، في حق الشخص المؤيد من الله مجازاً ، كما اطلقوا النبوة على مريم اخت هارون ، والمؤلهون منهم يقولون : ان الله الخالق شيء من الأشياء التي تحل : كالجاذبية او الكهرباء او الروح أو المغناطيس، ولكن هذا الحلول يستحيل عقلاً وعلماً، ويناقض اصل الناموس ،فهو اما ان يكون تاماً اي مستوعباً للذات الالهية استيعاب الجسد للروح ، واما أن يكون ناقصاً ، وهذا يقتضي اشتمال الجسم المؤله على جزء من ذات الخالق، وكلاهما ويقضي أن للخالق اجزاء ذات اتصال وانفصال وهذا محال، على أن الخالق هو المحيط بالكائنات المنتشرة في الفضاء ولا يحيطه به شيء . وتفسير شباب البراهمة هو التفسير الذي يؤيده العلم والواقع والنصوص .

الذكي العابق في الارجاء ، أنا الاول الذي لاشيء قبله ، والآخر الذي لاشيء بعده ، ملك العالمين وخالق السموات والارض ».

هذه النصوص تعطيك الأصل الاول الذي دعا اليه ابراهيم والرسل قبله ، وهو الايمان بوحدانية الله الخالق نور الشمس وضوء القمر وبريق اللهب وهذا مفهوم من الاية الاولى، القائلة « في البدء كان الموجود واحداً » .

الاصل الثاني الايمان بالرسل :

أن الذي يمعن نظره في « الفيدا » و« الرامايانا» يجد النصوص الكثيرة حـــول تقديس الرسل الذين يختارهم الله لهداية البشر والايمان بهم،وللبراهمة والبوذيين جولات في الدعوة الى الله ، والى الاستمساك بهداية الرسل،وقد أفضت الى الشام وفارس والبلقان، منذ اثني وعشرين قرنا . (١)

الأصل الثالث اليوم الاخر :

إنك تجد الايمان بالبعث والوصول الى « النرفانا » واضحاً في البرهمية كل الوضوح وأخباره مستفيضة والعمل لهمتواصل الى اليوم لدى كهنة البراهمة والبوذيين ، وربما بالغ كثير منهم في هذا الامر ، حتى جعلوا حاجات أجسادهم تحت أقدامهم ، وهذه خلاصة مما احتفظ به « بوذا » من أصل الابراهيمية : « ليس لله عصور ولا أيام ، أما يومه فخالد » ، « القوة الكامنة في جميع الاشياء تبني وتهدم ، وتنفصل دائمة » .

(١) راجع سوسنة سليمان وطوائف الملوك « وإذ املك اسرائيل»

ويريد بيومه عز وجل ، اليوم الاخر يوم الوصول الى عالم النعيم أو عالم العذاب ، حسب التطهير والمراقبة والانفصال ، عن سلسلة الشهوات الجسدية ، كما يريد ، بالقوة الكامنة في الاشياء ، أن كل مادة تسيرها قوة معنوية ، فالاجرام مثلا تسير بالمعرفة الالهية المودعة في قواها المسماة بالنظام والناموس ، ولكنها لدى تفككك الذرة تظل باقية ، كما أثبت ذلك العلم حديثاً .

والانسان يسير بالروح المخلوقة المدركة ، فاذا انحل هيكله ظلت باقية للوصول الى اليوم الخالد ، وتجد هذا واضحاً من النص الاتي . « ما الموت والحياة إلا صور الجسد ، أما الروح فباقية » (١) .

الاصل الرابع محبة البشر :

تجد البرهمية غنية بهذا الاصل ، وكيف لاتكون كذلك ، وواضع أسسها أبو الانبياء الذي تحمل المشاق والمتاعب ، في سبيل هداية البشر ، وسعادتهم . وهذه طائفة من النصوص الابراهيمية التي جمعها « بوذا » في كتابه « الرمايانا » .

« أيها الانسان ، كل انسان أخوك ، فحذار أن ترفع يدك على أخيك » . « اجعلوا خبزكم على عتبات دوركم للجياع ، واتركوا بعض الثمار على اشجارها للعابرين ، طوبى لليد التي تزرع وويلٌ لليد التي تضر ، لاتظهر الشماتة ، حتى بالتراب الذي تحت قدميك ، فانك تجد فيه مرقدك الاخير ، اجعل الارض قسمة بينك وبين

(١) راجع الرامايانا

اخوتك ، فالله لم يتقاض من أحد ثمناً لها ، اذ الحياة حق الجميع.

خامساً القتل :

البرهمية تحرص على عدم اراقة الدماء كل الحرص ، حتى انهم بالغوا فحرموا الحيوان ، والنص ينهي عن القتل المطلق «لاتقتل»

سادساً الزنـــا :

لم يكتف البراهمة بتحريم الزنا فحسب ، بل دعوا الى حرب غريزة الميل الجنسي بمتابعة الصوم ، ولزوم الخلوة فجـــاء النص « لاتزن » وقد أفهمهم بوذا أن النظر يزني ومن هنا كان « كونالا » وأمثاله من الشباب الاتقياء لايرفعون أبصارهم في اوجه النساء.

سابعاً السرقة :

عار كبير في البرهمية ، حتى ان أحدهم يؤثر ان يموت جوعاً ، ولا يسرق تمرة يحافظ بها على ابقاءحياته وهذا النص يؤكد ذلك : « لاتسرقوا أشياء غيركم فالذي يملكه الرجل قطعة من كبده »

ثامناً الكذب :

ان الابراهيمية تجعـل الصدق رأس الفضائل . حتى في النية والاعتقاد وتصحيح العمل ، فالبرهمي محال أن يتكلم بكلمة كاذبة مطلقاً ، بل ويلازمون الصمت في الخلوات ، حفظـاً على اللسان ، وقد جاء النص « لاتكذب ولا تفكر في الكذب » .

تاسعاً احترام الابوين :

لعل قراءنا يدهشون ، اذا قلنـا ان البراهمة ورثوا عن ابراهيم

الطاعة التي روتها الكتب ، المقدسة عن ولده الذبيح له : والشاب البرهمي أو البوذي المثقف ، لايستنكف أن يقدم حياته في سبيل والديه، اذا أدرك أنهما يسران لذلك! وأي بوذي أو برهمي لايروي قصة الامير « كونالا » باكبار واحترام ؟ كما يروون قصة الذبيح !.

أجل، إن كونالا ابن الملك «أسوكا»، الشاب النقي والي اقليم «تاكساها» اغاظ امرأة أبيه الغادة الحسناء أنّه لم ينظر اليها استجابة لرغباتها ،فكادت له بأمر مزور بخاتم ابيه يقضي بقلع عنيه. وأرسلته الى « تاكساها » فأحجم الناس عن تنفيذه حتى الرعاع والاشقياء لعلمهم بطهارته،ولكن « كونالا» مد يده الى عينه واقتلعها، صابراً، لانه اعتقد أن في ذلك مرضاة أبيه (١). ولاعجب فانك تجد احترام الابوين قوياً في جميع فروع الشجرة الابراهيمية، حتى أن كونفوشيوس نفسه يقرر أن الملك الطائع لابويه ، يطيعه الشعب ، (٢) .

الاصل العاشر اليوم الاسبوعي :

لم نجد أمة تكثر الاجتماع في معابدها ، وتجعل على أبوابها البحيرات ليغسل المصلون ارجلهم ،(٣) قبل الدخول مايكثره البراهمة، نفسه التبخير والطهارة،وقد بالغوا في الاجتماع الاسبوعي حتى كرروه.

ولما كانت الطـــاوية والكونفوشيوسية ، فرعين من دوحة ابراهيم المزدهرة الفروع المقدسة ، وكانت النصوص التي تشتمل

---

(١) راجع دائرة المعارف الفرنسية مادة « بوذا »

(٢) راجع كتاب الحوار

(٣) راجـع « رحلة يوسف كمال »

على ذكر أصول الوحي العشرة ، مستفيضة في أسفارهم المقدسة .

وفيما نقله المستشرقون في أبحاثهم ، عن أديان الشرق الاقصى وهي في جملتها مأخـــوذة بنصوصها عن البرهمية والبوذية ، آثرنا الاقتصار على ماذكرنا .

* * *

اصول الناموس في اليهودية والمسيحية والاسلام :

نعتقد أن قراءنا اطمأنوا الى فهم الاصول العشرة في الاديان التي ذكرنا ، اطمأناناً يبعث في نفوسهم الشوق لدرس أصول الناموس في الفروع الابراهيمية الاخرى: اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام، وخليق بهم هذا الشوق ، وهـذه الرغبة الملحة ، فان الذي ينظر الى جانب من شجرة زاهية ، ناضجة الثمار ، عابقة الاريج ، يلذ له أن يستمتع بالجانب الاخر .

واذا كانت شجرة آدم تجمع الانسانية جسداً . فشجرة ابراهيم تجمعها روحـاً ، والجسد مهما سما ، فلن يسمو سمو الروح ، أو يكتمل كالها .

الاصل الاول : الايمان بوجود الله الواحد .

« في اليهودية » : « اسمع ياإسرائيل الرب آلهنا رب واحد»(١)

(١) تث ٦-٤

« استحلفك بالرب آله السماء وآله الارض » (١) .

« ليس الله انسانا فيكذب ، ولا ابن انسان فيندم » (٢) .

في المسيحية : « الله واحد وليس آخر سواه » (٣) « الله لم يره أحد قط (٤) « ... وينكرون السيد الوحيد الله »(٥) « ليس أحد صالحاً الا واحد وهو الله » (٦) من يقبلني يقبل الذي أرسلني » (٧) .

في الاسلام : « وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ الا نوحي اليه أنه لا آله الا أنا فاعبدون» (٨) .

« انما أنا بشر مثلكم يوحى اليّ أنما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» (٩)

---

(١) تك ٢٤-٣

(٢) عدد ٢٣-١٩ قد مر بك بعض النصوص الدالة على هذا الاصل في التوطئة وآثرنا الاقتصار على هذه والا فالنصوص لاتحصى ، وسيأتي بحث الطائفة اليهودية التي قالت بألوهية « عزير » في بحث الطفيليات .

(٣) مر ٢ - ٣٢

(٤) يو ١-١٨

(٥) رؤ ٢١ - ٢٢

(٦) مت ١٩-١٧

(٧) لو ٩-٤٨

(٨) سورة الانبياء

(٩) سورة الكهف

« يا صاحبي السجن أربابٌ متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ ما تعبدون من دونه الا أسماءً سميتموها أنتم وآباؤكم ، ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان ، إن الحكمُ الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه، ذلك الدين القيم ، ولكنّ اكثر الناس لايعلمون » (١) .

الأصل الثاني : الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام :

« لا تكونوا كآبائكم ، الذين ناداهم الانبياء الاولون فلم يسمعوا » (٢) . « أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك » (٣) « وأقمتُ من بينهم أنبياء » . (٤)

في المسيحية :

« قالت حكمة الله اني ارسل لهم أنبياءَ ورسلا ،فيقتلون منهم ويطردون ».(٥) « لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله». (٦) « والذي يُرذلني يرذل الذي ارسلني» . (٧)

في الاسلام :

« قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوبَ والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون

(١) سورة يوسف
(٢) زك ١-٦
(٣) تث ١٨-١٥ و ١٨
(٤) عا ١٢-١١
(٥) لو ١١-٢٩
(٦) يو ٣-٣٤
(٧) لو ١٠ - ١٦

من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . (١)
الأصل الثالث الايمان بالبعث والجزاء :

في اليهودية :

« لي النقمة والجزاء، في وقت تزل أقدامهم »(٢) « حاشا لله من الشر وللقدير من الظلم ، لانه يجازي الانسان على فعله ، وينيل الرجل كطريقه ، فحقا ان الله لايفعل سوءاً ، والقدير لايعوج القضاء » (٣) . « الرب يجازيك خيرا عما فعلته » (٤) . يجازي الرب فاعل الشر كشره » (٥) .

في المسيحية :

« فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (٦) « بهذا تكملت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة في الدينونة »(٧) . « بدين الاحياء والاموات ، فانه لاجل هذا بشر الموتى ، ايضا لكي يدانوا حسب الناس بالجسد»(٨) « ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق » (٩) .

---

(١) آل عمران
(٢) تث ٣٢ - ٣٥
(٣) أي ٣٤ - ١١
(٤) ١ صم ٢٤-١٩
(٥) ٢ صم ٣ - ٣٩
(٦) يو ٥ - ٣٠
(٧) ١ يو ٤ - ١٧
(٨) رسالة بطرس الاولى ٤-٥
(٩) رو ٢ - ٢

في الاسلام :

«مالك يوم الدين»(١) «والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون »(٢). « كيف تكفرون بالله و كنتم أمواتا فاحياكم، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم اليه ترجعون » . « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى ،وانه على كل شيء قدير،وأن الساعة آتية لاريب فيها ،وأن الله يبعث من في القبور»(٣). «فمن يعمل مثقال ذرة خير يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٤) .

ها هي الاديان ، قد اجمعت على حقيقة العالم الثاني ، وأنه آت لاريب فيه ، هذا هو (حلم الانسانية) كما يقول توفيق الحكيم في رواية اهل الكهف ، ولكن لا كما فهم هو من وهم الحلم ، اذ الحقيقة المادية المفتون بها ، ستنقلب الى وهم ، حين يرى حقيقة العالم الثاني ، ولعله اخذ فكرته من الدهريين او طائفة الصدوقيين اليهود الذين أنكروا على سيدنا المسيح ، حقيقة العالم الثاني ورأوه وهماً ،واكتفوا بالايمان بالبعث الدنيوي،وخصوه بقديسي اسرائيل الذين سيتقمصون اجساداً جديدة ، ليشاهدوا بها ملك اسرائيل الذي لم يتسن مشاهدته لهم في حياتهم ! وسيمر بك بحث البعث والقيامة والجزاء في العلم والفلسفة والاديان .في الاجزاء الاتية .

---

(١) سورة الفاتحة

(٢) سورة البقرة

(٣) سورة الحج

(٤) سورة الزلزال

الاصل الرابع محبة البشر

في اليهودية :

« وتحب قريبك كنفسك » (١) . وهذا نبي الله داود « عليه السلام » يعلن في العهد القديم أن الله للجميع ، وهو يقضي بينهم بالعدل ، ويدينهم بالاستقامة . « تقضي للمسكونة بالعدل ، وتدين الشعوب بالاستقامة » (٢) وهذا اشعيا يعلن في سفره ان محبته لكل الشعوب وبيته مفتح الأبواب لهم « بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب » (٣) وها نحن اولاء نرى في سفر الجامعة أن الله خلق الخير تحت السموات لتفعله جميع البشر أبداً وخلق الجميع في احسن تقويم ، كما جعل الايمان بالابدية غريزة في قلوبهم ، دون تفرقة وتمييز « أرى الخير لكل البشر ، حتى يفعلوه تحت السموات مدة ايام حياتهم » (٤) « صنع الكل حسنا . . . . وجعل الابدية في قلوبهم » (٥)

---

(١) لا ١٩-١٨ فهم متأخرو الاحبـــار من لفظة قريبك » العبراني فجاء المسيح وصحح هذا الخطأ وأفهمهم أن المراد من القريب الأخ في الانسانية

(٢) مز ٩-٨

(٣) اش ٥٦-٧

(٤و٥) جا ٢-٣ و ٣-١٠

في المسيحية :

« سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما انا فأقول لكم أحبوا اعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . . . . لأنه إن احببتم الذين يحبونكم فأي اجر لكم ؟ اليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك ؟ . وإن سلمتم على اخوتكم فقط فأي فضل تصنعون ؟ أليس العشارون ايضاً يفعلون هكذا ؟ . (١)

في الاسلام :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٢)

« ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، إدفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » (٣)

وفي الاحاديث النبوية :

« الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه انفعهم لعياله »

---

(١) مت ٥-٤٢. العشارون هم الذين كانوا يأخذون المكوس للرومان وهم من سفلة العبرانيين الذين يحملون فكرة الصداقة للتجارة والربح وتجد ذمهم في العهد الجديد كثيراً حتى قرنهم المسيح بالزناة والوثنيين

(٢) سورة الحجرات آية ٣٣

(٣) سورة فصّلت آية ٣٤

« صلْ من قطعك وأعط من حرمك وقـل الحق ولو على نفسك »

الاصل الخامس – القتل :

في اليهودية – لاتقتل (١)

في المسيحية : « قـد سمعتم انه قيل للقدماء لاتقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما انا فأقول لكم إن كل من يغضب على اخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » (٢)

في الاسلام : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق »(٣)

الأصل السادس – الزنـــا

في اليهودية – « لاتزن » (٤)

في المسيحية: «قد سمعتم انه قيل للقدماء لاتزن ،واما انا فأقول لكم ، إن كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بهـا في قلبه ، فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعهـــا عنك ، لأنه خير لك أن يهلك احد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم » (٥)

في الاسلام :

« ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (٦)

---

(١) تث ٥-١٨

(٢) مت ٥ -٢١

(٣) سورة الاسراء آية ٣٣

(٤) خروج ٢٠ ١٢

(٥) مت ٥-٢٧

(٦) سورة الاسراء آية ٣٢

الأصل السابع – السرقة

في اليهودية – « لاتسرق » (١)

في المسيحية : « لاتسرق » (٢)

في الاسلام : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا » (٣)

الأصل الثامن – الكذب

في اليهودية – « لاتكذبوا » (٤)

في المسيحية – « لاتكذبوا » (٥)

في الاسلام : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » (٦)، « إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله » (٧)

الأصل التاسع – احترام الابوين

في اليهودية: « اكرم اباك وامك » (٨)

---

(١) خروج ٢٠-١٢

(٢) متى ١٩-١٨

(٣)

(٤) لا ، ١٩-١١

(٥) كو ٣-٩

(٦) سورة التوبة

(٧) النحل

(٨) خروج ٢٠-١٢

في المسيحية : « اكرم اباك وامك » (١)

في الاسلام : وقضى ربك الا تعبـــدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا (٢)

الأصل العاشر ـ اليوم الاسبوعي

في اليهودية :

خال أحبار اليهود القدامى ، أن لليوم الذي اطلق عليه اسم سبت بالذات ، قداسة ليست لغيره من سائر ايام الاسبوع ، وقد غرب عنهم أن معنى سبت في الاصل راحـة ومعقول جـداً ، أن الرسل يطلبون إلى قومهم أن يرتاحوا يوماً ،يعبدوا الله فيه مجتمعين، وهذا هو اليوم الأسبوعي ، فان وجدنا في بعض الاديان الاخرى، غير يوم السبت فلا يقـال ، إن الناموس تداعى ، فالذين يصلون يوم الاحد او يوم الجمعة هم ايضاً قائمون باحياء الناموس والعمل به والادلة على هذا اليوم الاسبوعي في اليهودية كثيرة منها :

« وعرّفتهم سبتك المقدس . . . . على يد عبدك موسى »(٣)

« إحفظ يوم السبت كما اوصاك الرب » (٤)

« لاتشعلوا نارا يوم السبت في جميع مساكنكم » (٥)

---

(١) مت ٩-١٨

(٢) سورة الاسراء آية ٢٤

(٣) غ ٩-٤١

(٤) نث ٥-١٢

(٥) خروج ٣٥-٣ ، لأنه يوم صلاة واجتماع والنـار هنا نار الفتنة والنميمة والتكلم في اعراض الناس وليست النـار الحقيقية كما فهم القرأون تلاميذ الحرف

احتطب رجل يوم سبت فقتله موسى بأمر الرب (١)

في المسيحية :

كل الفرق المسيحية جعلت الأحد يومها الاسبوعي ماخلا السبتيين الذين تقيدوا بالحرف ، « والحرف يقتل » كما قال القديس بولس (٢) إذ المراد أن يرتاح الناس في يوم من ايام الاسبوع ، وينقطعوا فيه للعبادة ، إذ المسيح نفسه ، لم يفرض يوم السبت ، وقد رقي مرةً فيه مريضاً فعاتبه بعض اليهود فأفهمهم أنه يحل ذلك في السبوت وضرب لهم امثالاً ،(٣) وهكذا ظل المسيحيون غير مقيدين بيوم اذ يحترم بعضهم السبت وبعضهم الاحد، حتى جاء قسطنطين، فجعل الاحد يوم الراحة الاسبوعي، تأليفاً للامم التي تراه يوم الشمس واصدر بذلك منشورا عام ٣٢١ م

في الاسلام :

جاء الاسلام وقد تطورت البشرية وتقدمت ، وأصبح كل انسان في استطاعته أن يستريح حين يحس بالحاجة الى الراحة ، من اجل ذلك لم يفرض في اليوم الاسبوعي الراحة ، وإنما فرض العبادة الاجتماعية ، نعم ندب أن يبادر الناس الى المساجد في الضحوة الكبرى ، وأن يغتسلوا ، ويتطيبوا ويتفقد بعضهم بعضاً لكن لاعلى سبيل الالزام ، اذ يدل النص على ان البيع والشراء مباح الى وقت الاذان « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من

(١) عد ١٥-٣٢

(٢) كو ٣-٦

(٣) يو٥-٩ و ٢-٤٢

يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع » (١)

الآن يحس قراؤنا أنفسهم حيال الوحدة ، وحدة الوحي الالهي وأصول الاديان ، وحدة لايشكون ابداً في صدقها وحقيقتها وكم كان بودنا أن يتسع نطاق هذا السفر ، لاستفاضة مالدينا من نصوص ، ولكن آثرنا السرعة والاقتصار على الجوهر ، تخفيفاً على القراء ، إذ المراد أن تنكشف لهم الحقيقة ، ويسقطوا على الواقع ، ويدركوا ، أن الذي سول الاختلاف بين أهل الاديان وفاقم شره المستطيرة ، التعبد اللفظي وكثرة الشروح ، والتأويل البريء أو الماكر ، بالزيادة أو النقصان ، ولكن والحمد لله قد استطعنا بما بذلنا من جهود ، أن نأتي بالخلاصة المنتقاة الصادقة التي يستريح لها قراؤنا الناقدون ، ذوو المدى الثقافي الفسيح ، فهم بلاريب يدركون وزن هذه الابحاث ، وقيمتها الخالدة ، ومكانتها الرفيعة ، ومنافعها للامم جمعاء اذ ما يخاله السطحيون ، من أن الخصومات ، والحروب إنما هي من جراء الاديان ، باطل . كما أن دعوتهم الى الالحاد وطرح الاديان وهدم ادبيات الانسانية ، اجهازٌ على بقايا الروح الانساني في النفوس ، بله أنه كفر وتهجم . فالاديان على كل حال لاتقتضي خلافاً ولا تبايناً ، ولا تنابذاً ولا حروباً ، لانها واحدة في منبعها وأصولها .

وإنك إذا نظرت الى أفتك الحروب المدمرة في العالم ، التي أشعلت باسم الدين ، نظرة عميقة فاحصة ، الفيت الدين اتخذ ستاراً

---

(١) سورة الجمعة

لتبرير مطامع الدنيا ،وهذه أوروبا التي عبدت المادة في عصر النور، وضعف في نفسها الوازع الديني،وقعت بينها من الحروب الجهنمية ولا تزال تقع ، ما جعل موقعة (بارتلمي) وحرب الثلاثين وامثالها من الحروب التي ينسبونها الى الدين ظلماً وعدواناً ، حيالها اشبه شيء بالخصومات العائلية وضرب المراوات والتراشق بالاحجار !! وهذه طبائع البشر يرتدون مسوح (القديس بطرس) ويضربون بعصا (الطاغية نيرون) !!

وإننا نفاجيء قراءنا بالبشرى ، أنا سنبسط كل الاديان ، التي ذكرنا اصولها في هذا الفصل ، بسطاً علمياً صادقاً بريئاً ، في اجزاء متتابعة ، مؤثرين التوجيه التاريخي ، واللباب اللباب من كل دين الاقدم فالاقدم .

ابراهيم والبرهمية

نحن لانرتاب أن دراسة الاديان العالمية ، يتعلق عليها أهمية كبرى ، وأنها جديرة بالمعرفة والدرس ، إذ كل انسان متدين بالطبع او بالفطرة او بالغريزة ـ قل ما تشاء ـ حتى الذين يخالون أنفسهم غير متدينين. وقد سلف أن الامم كافة ، لم تحرم من الرسالة الالهية ، وانا نقصر دراستنا هنا على البرهمية ، لانها أقدم الاديان الكبرى ، التي لاتزال منتشرة في جماعات كثيرة ، ونقدم بين يدي البرهمية ترجمة « ابراهيم » عليه السلام .

ولعل بعض القراء يتساءلون عن السبب ، الذي حدا بنا الى ايثار ذلك ،حسبهم الآن أن يتابعوا الترجمة معنا .

يسرنا أن نعلنهم ، أننا أزحنا أسداف الظلمات ، التي انطوت عليها القرون ، وتكاثفت على شمالي العراق ليشاهدوا ، في مدينة (أور) وما جاورها كحّران ونصيبين، شعباً يعبد الكواكب وتماثيلها التي ترمز اليها ، معتقدين أن الارواح المقدسة، المستوطنة في الكواكب ، التي يقدمون لها العبـــادة بطوافهم وعكوفهم وتضرعاتهم ، حول تماثيلها تقوم بدور الوسيط بينهم وبين الخالق العظيم ، الذي يدعونه « علة العلل » و « الاله الرئيس » ، إذ يرون أنفسهم اقل من أن يقدموا عبادتهم لله مباشرة ، في هذا الشعب « منذ اربعين قـــرناً » ولد ابو الانسانية الروحي ، وحامل لواء التوحيد الذي لايزال اثره مستفيضاً في كل الاديان الكبرى .

ونحسب والده ألهم تسميته بأبي الجمهور « ابراهيم» اذ نجد اسماء الانبياء لا تخلوا من توجيهات الهية ،ودلائل بما سيتم على أيديهم(١) وما كاد يبلغ مبلغ الرجال ،ويصبح قادراً على تحمّل أعباء الدعوة

---

(١) هذا سيدنا موسى ومعناه « ابن المـــاء » فقد القى في الماء طفلا ونجاه الله من هلاك الماء المحقق ، واغرق عدوه دمانيفتاه» وهذا سيدنا عيسى المعرب عن يسوع ومعناه المخلص ، فقد خلص الله به كثيرا من الامم ، لاسيما حواريه البررة الاخيار وهذا سيدنا محمد « عليه الصلاة والسلام » حمده عقلاء أهل الارض ، لأن الله زوده بمثل الانسانية العليا ، بعد أن بلغت رشدها وأصبحت قادرة على تعقلها وهضمها ، ورحم الله حسان حيث يقول :

وشق له من إسمـــه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

حتى انتدبه الله للقيـــام بهـا ، فأخذ يوجه شعبه توجيها ، قِوامه الواقـع والحجة .

وها هوذا يخلصهم من عبادة الكواكب ، بالفـات نظرهم إلى أنها مخلوقات ضئيلة ، بين العوالم المادية المترامية في ابعاد الفضاء ، فهو يربيهم بالعلم ، ويجعلهم يثقون بعقولهم - إذا كانوا يصرون على عبادة المخلوقات - أن هناك مخلوقات أكبر ، هي أخلق بالعبادة ، وبهذه القاعدة العملية استطاع أن يقنع من آمن به من قومه ، بعد أن خلصهم من عبادة القوى المعنوية من الارواح وسواها ، إذ ما من روح أو قوة معنوية إلا وهناك قوة أكبر منها وأعظم ، وهي بهذه المثابة اجدر بالعبادة ، فروح الملاك مثلاً اعظم من روح الانسان ، وروح الانسان أعظم من روح الحيوان ، وهكذا استطاع أن يخلص الناس من عبـــادة المخلوقات المادية والمعنوية ، فكانت عقيدته الحنيفية ، وكان الاب الروحي للانسانية .

وحين ادرك المكابرون من قومه ، أنهم انهاروا أمام الحجة والبرهان ، عمدوا إلى حجة الضعيف وهي البطش والفتك ، فاشعلوا النار وألهبوا مارجها ، وقذفوا فيها ابراهيم ، ولكن رعـــاية الله وحفظه ، وارادته إتمام الدعوة والرسالة ، جعلتها برداً وسلاماً « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم » من أجل ذلك ترك ابراهيم موطنه فرحل وثـــلة من اتباعـــه إلى الشام ، وابقى ثلة تمارس الدعاية سراً فيه وفي ما تاخمه كفارس والهند (١)

---

(١) راجع دائرة المعارف البستاني مادة « برهمة »

ها هوذا بعد أن يستقر في « حبرون » (١) يفكر في مصر فيرحل إليها ويقيم زمنا يصاهرهم تاركا اتباعاً وانصاراً (٢)

ابراهيم في بلاد العرب

ليس لرسول من عمل سوى إذاعة الدعوة وامتدادها وهذا ما كان يجهد له ابراهيم ، ها هوذا يرحل الى بلاد العرب بعد ان قفل للشام ، اجل نزل في جبال « فاران » و « تيماء » (٣) هو

---

(١) مدينة الخليل الآن راجع ص ٣٤

(٢) لم تكن رحلة أبراهيم لمصر عن مجاعة كما ظن مؤلفو كتاب قصص القران محمد جاد المولى بك ورفقاه راجع ص ٤٩ منه

(٣) اطلقت اسفار العهدالقديم على بلادالعرب اسم تيماء المشتق من تيما ابن اسماعيل « تك ٢٥-١٥ » كما ترى في « اش ٢١-١٤ » اذ يقول « وحي من جهة بلاد العرب ، في الوعر في بلاد العرب تبيتين ياقوافل الدادانيين ، هاتواماء لملاقاة العطشان ياسكان ارض تيماء » و كذلك ذكر هذا الاسم في سفر ايوب ٦-١٩ .

واطلاق اسم رجل على بلاد معروف في اكثر اللغات قديماً وحديثاً ، إذ تكون البلاد لا اسم لها في الاصل وحينما ينزلها ابو القبيلة او الرجل العظيم تسمى باسمه ، او ينسى اسمها ويغير ، كما اشتقوا اميركا من امريكو وروما من روموليوس ، والمهديه من المهدي العباسي ، والاسكندرية والاسكندرونة من اسكندر المكدوني .

ولما كانت الكلمات اللغوية تتطور في اللغات وتأخذ حظها من

وزوجته المصرية ، وولده اسماعيل ، ولم تكن رحلته هذه دفعاً اغيرة « سارة » ، بالذات وانما لدعوة العرب الى الحنيفية ، بعد ان تداعت عليهم الوثنيات ، التي قضت على التوحيد الذي جاءهم به رسلهم الأقدمون .

الحياة ، فقد نقل ياقوت عن الاصمعي أن العرب عرفوا اسم تيماء وتيما « بالمد والقصر » وانها كما جاء في العهد القديم تدل على الارض التي لا نبات فيها ولا أنهار ، « راجع ياقوت ج ٢ ص ٢٤٢ »

اما « فاران » فكلمة عبرية معناها في الاصل ، صحراء وجبال ومكان خال ، وحين توجه الخليل الى صحراء بلاد العرب ، ونزل هناك ، قالوا توجه الى « فاران » ثم استعمل هذا الاسم للموطن الذي نزل فيه ، وهو مكة وجبالها ، ولا يجوز بتاتاً حصر فاران في ناحية واحدة من النواحي التي مر بها الخليل اذ تعطينا الدلائل أن نزوله في بلاد العرب أكيد ، فهناك نصوص أخرى في التوراة تعين أن موطن « تيما » ابن اسماعيل في بلاد العرب ، والذي يؤكد ذلك بعمق ماجاء في الاديان المعاصرة لرحلة إبراهيم الى بلاد العرب من تقديس بيته وتعظيمه .

وعلى كل حال فهذا لا يمنع نزوله بفاران بئر السبع وفاران سينا وفاران الرامة وفاران مكة ، حيث تجد هذا الاسم في العهد القديم علماً على عشر مواضع ، والتوراة تدل على نزول وحي الهي بفاران بعد وحي موسى والمسيح كما ترى في سفر التثنية « ٣٣ — ٢ » مانصه : جاء الرب من سينا واشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال

فهذه الكتب المقدسة ، وصفحات التاريخ تجعلنا نعتقد ، أن رسولا كبيراً كابراهيم ، لن يرحل رحلة طويلة شاقة ،بين الصحاري والادغال والمخاطر والاهوال ، إلا لأعمال خالدة يريدها الله لعباده فهل كان بناء البيت الحرام ، ودعوة الانسانية الى الحج ، وهدم الوثنية القديمة ورجم انصابها (١) صدفة ؟

فاران » ولم ينزل وحي بعد موسى والمسيح الا بفاران بلاد العرب .

على أن هذه الكلمة تطلق على فاران سمرقند وفاران مصر ايضاً « راجع معجم البلدان ج ٦ ص ٣٢٣ وإن دراسة المعاجم القديمة سوف تكشف اشياء كثيرة من تاريخ رحلات إبراهيم ، وإطلاق الاسم الواحد على البلاد المختلفة كثير في اللغات، كحلوان مصر ، وحلوان فارس ، ومنية طرابلس الشام ومنية الاندلس ، وطرابلس الشام ،وطرابلس الغرب،وغزة فلسطين ، وغزة البقاع

(١) إن رجم الانصاب لايزال الى اليوم ، كما جاء به إبراهيم ، فالحجاج حين يقفلون من عرفات الى منى ، يرجمون انصاب الوثنية القديمة ، محاربة لها وايذانا بأن الذين يعبدونها ، إنما يعبدون الطواغيت والشياطين التي يرونها حالّة بها،وإنك ترى هذا الرجم اعظم مظاهر الحج وأحراها بالاكبار ، إذ ثبت في علم النفس ، أن الكراهة العملية تؤثر في اتجاهات النفس اكثر من الاقوال .

وبالبت هذا الرجم كان في كل الاديان الالهية ،ولو كان كذلك لما تحرف دين سماوي وعاد اهله الى عبادة الأوثان ، كما يفعل «الفتيش» الى اليوم ، بل لما نسي العرب حكمة الرجم وادخلوا عبادة الاوثان

ابراهيم في فارس :

ها نحن اولاء نطلب الى قرائنا أن ينظروا ، في كتب فارس القديمة المقدسة ، (١) ليلمحوا فيها أثر (٢) بيت ابراهيم وتقديسه ،

على يد عمرو بن لحي الخزاعي جاهلين أن الشياطين المرجومة في تلك الانصاب هي عين الالهة التي اتوا بها من الشام ولو اطلع ابو العلاء على ما اثبته علم النفس اليوم لاسف على قوله .

وقوم أتو من اقاصي البلاد لرمي الجمار ولثم الحجر

وسيأتي بحث لثم الحجر مفصلاً إذ المقصود منه ان يكون علامة لابتداء الطواني

(١) لزرادشت كتاب يدعى «أفستا» و كتاب يدعى «ياسنا» مقدسان « راجع كتاب ملوك الطوائف لدوزي» واتباعه يرون البعث جزءاً جوهرياً من دينهم (راجع دائرة معارف البستاني ج ١٠ ص ٧١١) ولاغرابة ان يحرم زرادشت عبادة الاوثان وينفي فكرة اله الشر « راجع تفسير الجواهر لسورة الانبياء » وهم يرون علاوة على احترام زرادشت نبوة ادريس «راجع نهاية الادب ج ٧ ص ٢٧٧» وهم اكثر الناس محبة للبحث ومعرفة الحقائق الدينية « راجع الامتاع والمؤانسة ص ٩١ »

(٢) هو البيت الحرام الذي شاده إبراهيم ، وولده اسماعيل ، وهو مقدس لدى الفرس حتى أنهم اعتقدوا ان روح إله الخير « يزدان » حلت به ، وقد أهداه احد الاكاسرة غزالين مسبوكين من ذهب ، كما قدسه البراهمة .

وقد طهر الرسول الاعظم كل آثار الوثنية يوم فتح مكة

والذي نعتقده باعثاً لهـــذا التقديس ، هو الايمان برسالة إبراهيم ، ودينه في فارس وآشور اذ التـأثير ما بينهما متبادل وطبيعي ، لانه وليد الجـــوار والمبادلات التجـــارية والسياسية ، كما نطلب اليهم أن ينعموا نظرهم في الكتب البرهمية المقدسة ليشاهدوا روح « سيفا - شيوه » أحـد أقانيم الثالوث البرهمي حـادبة على البيت وحالة به .

وأما ادلة هجرة ابراهيم الى بلاد العرب ، ودعوتهم الى الايمان وترك ذريته هناك وتشييده البيت الحـــرام ، ودعوة الناس اليه في كتب الاديان الاخيرة ، فكثيرة جداً .

ابراهيم في الهند :

التاريخ القديم تحيط به أسداف الغموض والابهام ، لمن تخبط بين حنادس نصوصه والغازها ومعضلاتها،ولكن تبدولدى الباحثين الناقدين على جانب من الوضوح لانقول إنه كبير ، ولكنه على كل حال فيه هواد الى ما نهدف اليه .

إنا نعتقد أن ابراهيم رحل الى فارس والهند واعتقادنا هـذا لم يكن ظناً او خيالا ، وإنما توفرت لدينا النصوص الموثوق بها ،التي

وحطم تمثالي ابراهيم واسماعيل ، وانك تأخذ من اتفاق الاديان والامم القديمة على تقديس بيت ابراهيم دليلاً على تأثير دين ابراهيم في تلك الامم، وأن تلك الاديان منبثقة منه ،

راجع شرح ديوان حسان للبرقوقي وسيرة نور اليقين للخضري وكتاب طوائف الملوك لدوزي .

دفعتنا الى هذا الاعتقاد دفعاً، وإن كانت تبدو غريبة جداً وجديدة جداً لدى بعض الناس !

لاتعجل في النقد ، ولا تبادر في النكران ، وإنما تأمل بفهم وحرية وإخلاص لوجه الحق في النقاط الآتية :

١- يخبرنا التاريخ أن ابراهيم زار هذا العالم منذ اربعين قرناً ويقول : وفي نفس هذا القرن ظهر اسم برهمة والبرهمية في الهند

٢- إن اختلاف الاسم في النطق ، لايجعل صاحبه شخصين مختلفين فان ، المسيح ويسوع وعيسى وجوزو علم على سيدنا المسيح ويوحنا ويحى وحاييم وجان علم على النبي المعروف، والياس وإيليا وإيلي وجرجس وجورجيوس وجرجي وجورج والخضر علم على النبي المعروف،وابراهيم وابراهام وابرام وبرعم وبرهمة وبرهمن وبرهوم وبرام علم على ابي البشرية الروحي،ويعقوب وآغوب وجاكوب وجاك ويافب واسرائيل علم على حفيده ، .... الخ ومصدر هذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف اللغات واللهجات ، وها نحن في العصر الحديث نعرب اسم شاعر المانيا الكبير « غوته » على طرق مختلفة حسب اللغة التي يترجمون عنها - غوته - جوته - جوت - كوت ، ويقول العرب عن « بترس » اليونانية - بطرس - وينطقها الفرنسيون « بيير » ومن الجهل بطبايع اللغات ومخارج الحروف ، أن نكلف البشرية جمعاء أن تنطق بلهجة واحدة لشخص واحد بجميع لغاتها ، وكون بعض الافراد ، يستطيعون مقاربة النطق من طول الممارسة والدرس ، لايدل على قدرة جميع الامم على ذلك .

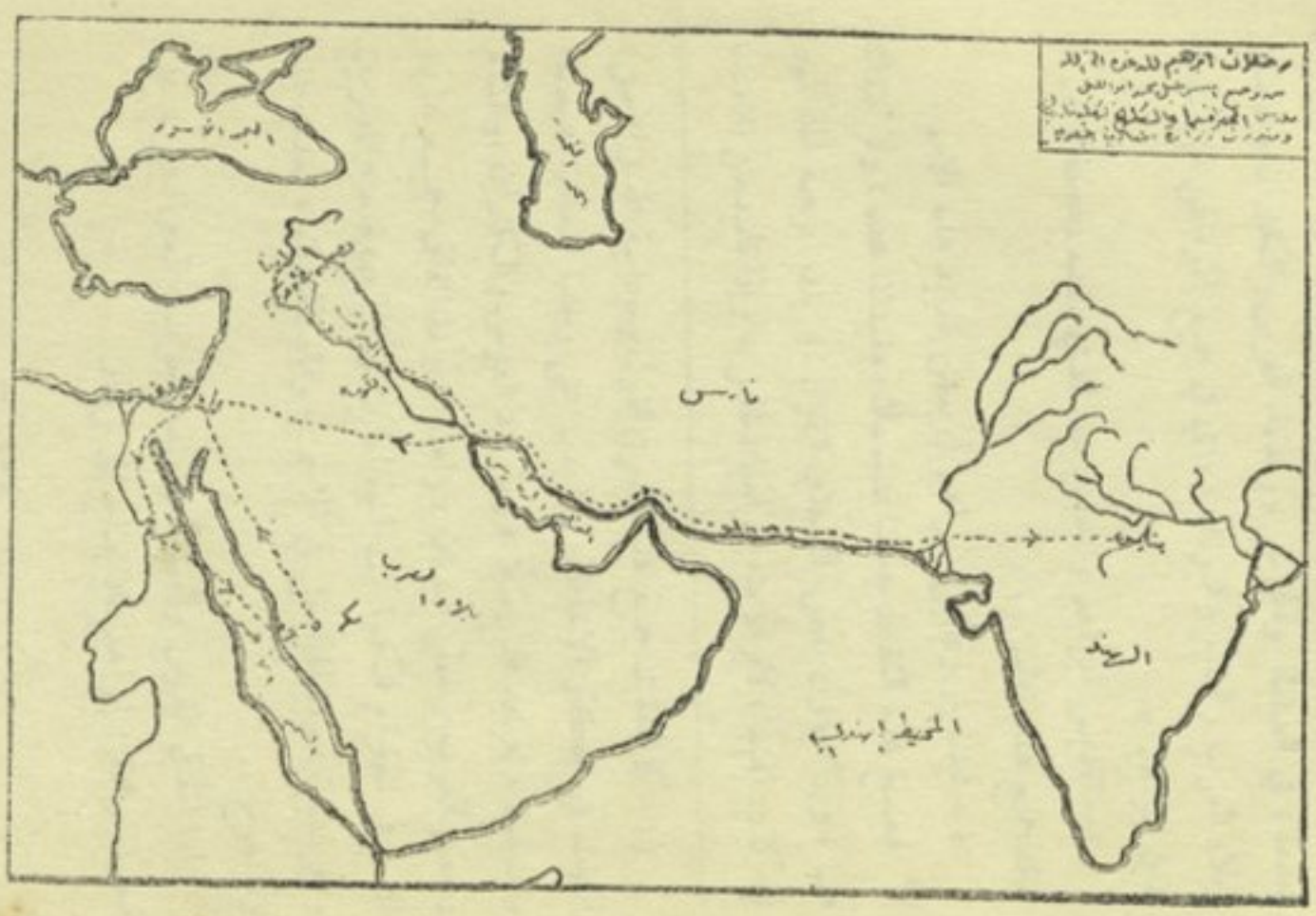
فارس
بلاد العرب
الهند
المحيط الهندي

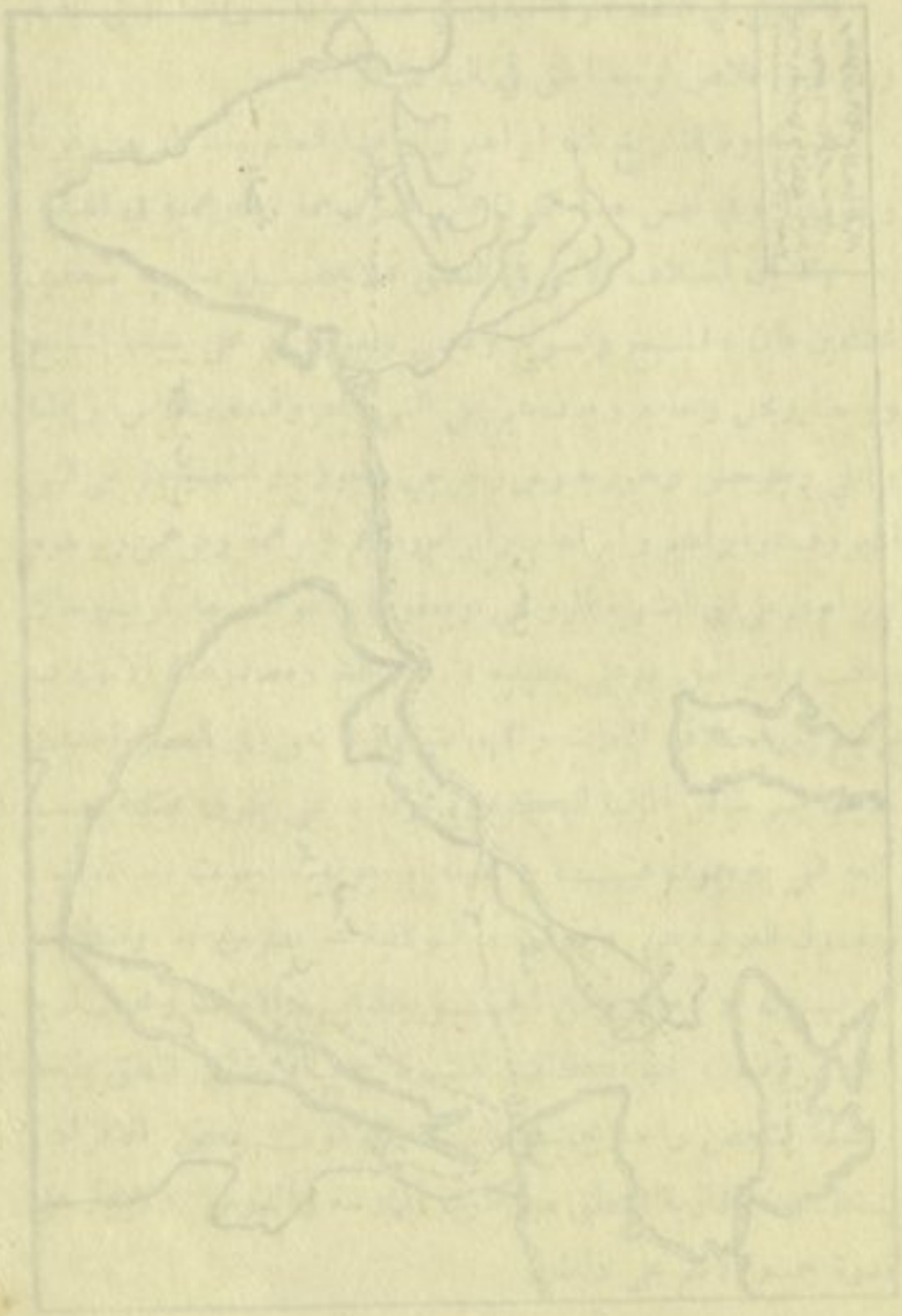

٣- نجد جميع أصول تعاليم ابراهيم في البرهمية ، كذلك الاساطير التي علقت بتعاليمه وانبثقت عنها تجدها في البرهمية ، كما تجدها ، في الصابئة والمجوس ، وقدماء الفرس والكلدان والاشور وبلاد العرب والشام واليونان ، واي في جميع المواطن التي تأثرت بدين ابراهيم »

٤- تقديس ابراهيم وتقديس بيته الذي شيده بمكة ، تجده لدى جميع هذه الامم (١)

٥- تجدصور وتماثيل لابراهيم في بعض معابد هذه الامم :

فجميع هذه النقاط جعلتنا نستمسك بعقيدتنا هذه ، ولا ننفك عنها ، وإذا حاول بعض الباحثين القول ، بأن برهمة المذكور في كتب الهند ، لايراد منه إبراهيم الخليل ، وإنما تلميذ من تلاميذه

---

(١) كما اتفقت جميع هذه الامم في القول بوحدانية الله في الاصل ، اتفقت في اكثر الاساطير مما يدل على وحدة التعاليم الصحيحة والدخيلة ، إذ نجد النار مثلاً محترمة عند الفرس والكلدان ، والشام وبعض العرب وبعض اليونان ، والهند ، وأما اتفاق جميع هذه الامم في احترام الكواكب احتراما يشاركها فيه قدماء المصريين والفرنسيين ، واتفاقها حتى في الاسماء والمصطلحات ، فحدث عنه ولا حرج .

اما اتفاق الفرس والصابئة والهند والعرب والعبرانيين ، على احترام برهمة : إبراهيم فلا يحتاج الى برهان .

أو داع لدينه (١) في الهنـــد فان جوابنا صريح ، إذ رحلة ذرية ابراهيم للهنـــد محققة (٢) عن طريق فارس وآشور ، ولكنها كانت متأخرة ،وبينها وبين وجود اسم برهمة في الهند،وتعظيم هذا الاسم نحو ثلاثة عشر قرنا (٣)

على أن رحلة إبراهيم ، لفارس والهند تكاد تكون بينة ، في

---

(١) ذكر بعض مستشرقي الانكليز أن برهمة ، هو ابراهيم الخليل نفسه ، كما ان الريحاني ذكر في كتاب ملوك العرب رحلة ابراهيم الى فارس والهند كما مر .

(٢) إن لابراهيم احـــدى عشر ولداً سوى اسماعيل واسحق وقد ارسلهم الى بلاد بعيدة وما كادوا يظهرون تذمرهم حتى أخبرهم أن الله يأمر بذلك ، راجع تك٢٥–١و كتاب عرائس المجالس ص ٦٨ والمسعودي ص ٥١ ومع ذلك لايمنع ان يكون احد تلاميذه ، أو اتباعه الداعين لدينه ،اطلق عليه ابراهيم او برهمة أو إبراهيم الصغير ، أو إبراهيم الثاني ، ولم يكن اطلاق كلمة برهمة في اول الامر على أنه الخالق العظيم بل على أنه الانسان الرسول الحكيم وذريته معروفة بالشرف .

(٣) لم يغادر اليهود فلسطين قبل السبي، ليقال بوصول اسم ابراهيم للهند وفارس عن طريقهم، اذ عاد لفلسطين منهم بعد سماح كورش وسعى استير قوم وتأخر عشرة اسباط كما روى صاحب كتاب « المسيح من الوجهات الثلاث ، المسيحية والإسلامية والتاريخية » ، راجع ايضاً سفري عزرا وأستير .

آثارها الخالدة ، فانا نجد المؤرخين القدامى يذكرون اختلافا في الموطن الذي حرق به إبراهيم، وهذا ما يجعلنا نعتقد، أن الاختلاف نشأ من النشاط الغريب الذي اعطاه الله لخليله ، في كثرة رحلاته وتنقلاته ، فحين رأوا آثاره الدينية الكبرى في منطقة الكوفة قالوا احرق بها ، وإن كان بعضهم يرى محاولة الحرق في مدينة أور لأن بقايا آثاره الدينية لاتزال حتى اليوم تملأ ما وصل الينا من اديان فارس القديمة ، لأن النار احترمت بفارس لعدم حرقها ابراهيم ، ثم بولغ باحترامها حتى عبدوها ونسوا ابراهيم ، الذي احترمت من أجله ، وهكذا البشر يبالغون في احترام الاشياء ويسرفون في المدح والثناء حتى يخرجوا بها عن طبيعتها .

وكم من رسول او ربّاني طهور ، احترموه وبالغوا في احترامه حتى سلخوه عن انسانيته والبسوه ثوب الالوهية ، ونسوا الله الذي من أجله احترموه .

إن الآثار الشاخصة الى اليوم ، ترينا الخليل كثير التنقلات والرحلات ، واسع الدعاية جم الأتباع ، ومثله الذي يتغلغل في بلاد العرب ويتعقمها ، محال أن يدع فارس وهي على متناول اليد من مسقط رأسه .

البراهمة

هاهم أولاء قراؤنا، وقد انتهوا من ترجمة ابراهيم «عليه السلام» موجزةً ، واعتقدوا أن دينه ترك آثاراً خالدةً في أكثر أمم الارض، ثم تفرع إلى نحل كبيرة لايزال لها ملايين الاتباع ، وإنهم ليلمسون وحدة العقيدة في العالم ، مما قرأوا في بحث النواميس، ومما سيأتي في بحث الاساطير ، التي التفت على أصول دين إدريس ، ثم إبراهيم ، وأحدثت ما أحدثت من انقلابات ، ولا تزال تحدث .

والهند أمة من الامم الانسانية الكريمة ، بل من أنبل الامم أعراقاً ، وأسماها طهراً وارفعها مكانةً ، وأقدمها معارف وآثاراً، والذي يرجع إلى التاريخ القديم يجد الهند موطن آداب وحضارة، مجدها العرب، فاطلقوا اسمها على فلذات أكبادهم وبعض بلادهم(١) وفاخروا بأن من أسماء سيوفهم المهند والهندواني ، وكم بذل ملوك فارس من نفائس للحصول على الحكمة الهندية المودعة بين دفتي كتاب « كليلة ودمنة » الذي يعطي صورة صادقة عن نضوج الهند في العلم والمعرفة (٢) .

---

(١) قيل ان العرب كانوا يطلقون على لواء البصرة « هند » وينسبون له السيوف لانها تصنع به

(٢) راجع ما كتبه الاديب الدمشقي خليل مردم بك في الكتاب الذي اسماه ابن « المقفع » وما كتبه استاذ الادب العربي

إذن فأمة هذه مكانتها محال أن تحرم من الوحي الالهي، منذ أقدم الاجيال ، ونحن إذ نقول محال ، نقولها مؤمنين معتقدين ، إذ نجد آثار الوحي الالهي بينة بها من قبل دخول إبراهيم لها بثمان وعشرين قرناً .

لاتوع ولا تظن أنا نجول بك في دجي الاساطير ، وإنما نعرض عليك برهاناً تاريخياً وطيداً ، يجعلك تكبر عقيدتنا وتشايعنا فيها وتطمئن اليها .

كيف لايطمئن قراؤنا ، إلى أن الوحي كان في الهند قديماً ؟ وهذه آثار الوحي الالهي والعقائد الدينية تجري على لسان المصلح الهندي الروحي الكبير « كريستا » (١) منذ ثمان وستين قرنا ! !

في تجهيز دمشق محمد سليم الجندي ، وقد ذكر شغف العرب بكتاب كليلة ودمنة شغفاً دفع بعضهم لترجمته نظماً مفتتحاً قصائده بهذين البيتين .

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كليلة ودمنة
فيه اقاصيص وفيه رشد وهو كتاب وضعته الهند

(١) قد حفت بهذا الرجل كثير من العجائب ، حتى قيل إن كل ما يروي عن المسيح من خوارق كان « لكريستا » ويظن أنه كان معاصرا « مترا » او قريباً منه اذ هما يقومان بدعوة روحية واحدة ، وهما إما أن يكونا متأثرين بدعوة رسل إلهيين من قبلها ، وأما أن يكوناها ، وقد احاطهما المبالغون والمغالون بهالة من الاساطير كما سيأتي في الأجزاء الآتية « راجع تفسير الجواهر لسورة آل عمران » ،و كتاب الغصن الذهبي بالانكليزية THE - JOLDN - BEW

أجل تدل بوضوح وجلاء أن هناك دينا آلهيا ، وكان كريستا يدين به – إن لم يكن صاحبه – اذ يقول : « ان الارواح السامية تنال المقام الاسمى لدى خالقها ، كما إن الارواح المنحطة تعذب بأرضيتها وحقارتها وبعدها عن الله الخالق العظيم » .

يلوح هذا النص التاريخي ، القديم جداً ، لدى صغار القراء الشادين ، هزيلاً لايفيد عقيدة دينية ، ولا يعطي صورة عن وحي الهي ، ولكنه لدى الباحثين المتعمقين والناقدين المفكرين ، كبير و كبير جداً ودعامة وطيدة تشاد عليها اسمق الصروح .

إن كلمة واحدة يستخرج منها الفيلسوف تاريخ أمة ، وإن حجراً واحداً منبوذاً في ربض من ارباض مدينة ، بين ركام القهامات والخرائب المتداعية ، يرى الباحثون الأثريون ، تاريخ أمة يمور في أعماقه مورداً (١)

إن هذا النص الزاخر بالمعرفة يدلنا على عدة إشياء :

١– الايمان بوجود الخالق العظيم ، وأنه خالق الارواح وموجدها من العدم

٢– الايمان باليوم الاخر والثواب والعقاب

٣– ان هناك دينا اليها منتشراً في تلك الازمان السحيقة ، لم يبق من آثاره إلا امثال هذه الكلمات ، التي نقلت الينا منذ أقدم

---

(١) كحجر رشيد المرغلوفي مثلاً وحجر شريعة « حمورابي » الملك العربي البابلي الذي عاصر ابراهيم ودعي في العهد القديم « ملكي صادق » كما سيأتي تفصيلاً .

العصور ، وكم في مدافن الزمن ورموس الاجيال ، ونواويس الاباء من آثار دفينة ، وأديان ضائعة ، وحقائق مطموسة . وإنا نظفر من كل ذلك بعقيدة صحيحة هي : أن الوحي الالهي كان في الهند قبل ايام « كريستا » اي قبل ثمان وستين قرناً .

وكان على أتم ، جلال القداسة والاشراق ، ولكن اذا تركنا عصر كريستا وعدنا أدراجنا الفينا الاساطير والامراض والنحل تعتور ذاك الجسم الذي كان في عصر كريستا صحيحاً ، إذ ان العالم في القرن الذي ولد فيه إبراهيم « ١٩ ق م » كان في سغب روحي ، ومرض ديني .

وكان ابراهيم يضطرب في زلزال الحماسة المتقدة كي لايدع أمة من الامم غارقة ، في بحران أمراض الوثنية ، وطغيان تحكم الكهنوت الاسطوري ، فهو يرحل جاهداً راضياً من مدينة الى مدينة ، بل من قارة الى قارة ، لاشيء سوى الدعوة الى الله وهدي الانسانية الى الخير .

ومثل ابراهيم الذي يتغلغل ، في أعماق الصحراء منتشياً بلوافح الرمضاء ولظى الهجير ولهب السموم ، ليهدي قوماً من العرب الرّحل ، لن ينسى الهند ، وهي من موطنه على متناول اليد ، وبالاحرى بعد ان اجتازه الى فارس ، وامسى منها جنبا الى جنب .

ان ابراهيم لرحّالة ديني عظيم ، وكتب الوحي المقدسة ، لم تفصل كل رحلاته ،لأنها ما أنزلت لأجل تاريخ الرسل،فهذا الانجيل سكت عن ثمانية عشر حجةً من حياة المسيح ، وهذا خاتم الكتب

السماوية ، لم يذكر كل تاريخ النبي « ﷺ » فكيف نريد من العهد القديم ، أن يلم بكل رحلات ابراهيم ، وبينه وبين نزوله اربعة قرون ! و كيف نريد من هذه الكتب الثلاث التي لم تحط بكل حوادث ، من انزلت عليهم ، أن تحيط بتاريخ أبي الرسل ابراهيم ؟

نعم جاء في القرآن أن الله لم يحرم أمة من هداية الرسل ، واقامة مواطن المناسك المقدسة ، « وإن من أمة الا خلا فيها نذير » (١) « لكل امة جعلنا منسكا » (٢) ولكنه لم يقص علينا أخبارهم مكتفياً بالايمان الاجمالي ، بأن رسل الله وأعمالهم اكثر من أن تحصى « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » (٣) .

والذي يجعلنا نطمئن أن ابراهيم نفسه ، هو الذي غرس نواة الابراهيمية في الهند ، لاحد ابنائه ، أو تلاميذه هي موجات العقيدة الصحيحة ، التي تحمل اسمه ، بل قد امتدت آثارها حتى نفذت الى الصين ، فقد جاء في كتاب صفوة الاعتبار للسيد محمد بيرم التونسي (٤) أن المصلح الديني الكبير «بو» . . .

ظهر في الصين ، في الزمن الذي وجد فيه إبراهيم في الهند ، يدعو الناس الى العقيدة التي جاء بها ابراهيم وهي الايمان بوحدانية

---

(١) فاطر
(٢) الحج
(٣) غافر
(٤) راجع ج ١ ص ٢٣

الله المطلقة ، ونبذ عبادة المخلوقات من نجـــوم وأقمار وشموس ، واحجار وحيوان ، وأرواح وسواهـا ، ولا تزال له كتب دينية حتى اليوم ، وظلت عقيدته سائدة أربعة عشر قرنـاً ، ثم تداعت تحت انقاض النحل ، حتى جـاء المعـلم المحترم « كونفوشيوس » اكبر المصلحين الصينين القدامى ، واسماهم مـكانة ، فأزاح عنها ركام الأنقاض ، وأشاد هيكلها .

ولا ينقض نسبة الابراهيمية الهندية الحـــالية ، إلى ابراهيم وجود انحرافات كبيرة جـدا ، وأغوار عميقة ملتوية ، فان كل الاديان النائمة في مجاهل القرون ، لها مثل تلك الاغوار ، وهاتيك الانحرافات ، وعلى الرغم من كل ذلك نجد ، أضواء عقيدة إبراهيم ، تلوح من خلال ركام الانقاض ، كما مر بك في بحث النواميس .

وإنك تجد الباحثين المتعمقين في الابراهيمية الهندية ، مجمعين أنها غريبة عن الهند ، وأن ابراهيم لم يولد في الهند ، والذين حاولوا أن يثبتوا ذلك لم يستطيعوا أن يعينوا بلدة بعينها ، وأن مجيئها كان من طريـق فارس ، مما يـؤكد أنها هي ابراهيمية سيدنا ابراهيم عليه السلام ، التي نشأت في فارس والعراق مـع الاعتراف بأنه رسول حكيم(١) ولا يقال لماذا لم يبق في الهند حتى آخر حياته ،

---

(١) دائرة معارف البستاني مادة « برهمة » والصفحات الاولى من كتاب أديان العالم الكبرى الذي لخصه عن الانكليزية حبيب سعيد وملوك الطوائف لدوزي ودائرة المعـــارف لوجدى ج ٧ ص ٧٢٥ الى ص ٧٥٨ وكلها تؤكد ان برهمة ليس باله وليس مولوداً في الهند ، وله في الهند ذرية مما يؤكد أن لابراهيم ذرية كثيرة غير

فان اكثر الرسل ينشرون اديانهم أنّى تيسر الامر ، في أية بيئة مهما نأت ، ثم ينتقلون الى سواها وسواها حتى يوافيهم الاجل تاركين من يقوم بأعباء الدعوة من بعدهم ، وقد ترك إبراهيم بلاد العرب بعد أن نشر فيها دينه وغادر ولده اسماعيل وحفيده « تيما » ينتقلان ويدعوان ، وهكذا يقال لدى تركه الهند ، ويؤكد ذلك أن ابراهيم لاقبر له في الهند ، والبراهمة المتأخرون يقولون، هو آله ارتفع الى السماء ،لانه الأصل الاول في الثالوث المقدس .

وإن برهمة هوابراهيم حتى من جهة المدلول اللغوي ، فابراهيم الكلمة الكلدانية التي تعطي معنى أبي الجمهور ، هي ذات المقصود من كلمة برهمة الدخيلة على السنسكريتية ، إذ معناها ابو الانسانية وحين انحرفت العقيدة الابراهيمية في الهند ، ورفع برهمة من رسول حكيم كما قال دوزي الى الالوهية،واصبح الاقنوم الاول، تطور المدلول اللغوي ، فأصبح يترجم « أبا المخلوقات » فالابوة على كل حال ، هي المدلول الاول التي لاتزال الى اليوم .

والذي يدلنا على أن ابراهيم، بارك أمم الارض بدينه وذريته، فوق ما اسلفنا من براهين هو اجماع نصوص الكتب المقدسة على هذا الامر ، ولا حاجة بنا أن نذكر النصوص التي في « الفيدا والراماياتا » إذ اكثرها متعلق به وبدينه ، والبراهمة والبوذيون يتعبدون بها ليل نهار ، ويعرفونه كما يعرفون أنفسهم ، هذا إذا

اسماعيل واسحق،ذهبوا الى بلاد بعيدة مجهولة لنشر الدين وأفهمهم أن هذا بامر من الله راجع تك ٢٥–١ وعرائس المجالس .

قطعنا النظر عن اشتقاق اسمهم من اسمه .

نعم نذكر جانبا من نصوص الكتب الثلاثة التي لدينا ، لندرك نحن أن ابراهيم بارك شعوب الهند بنفسه وذريته ودينه كما بارکنا، وإنه امام لهم كما هو امام لنا ، ونحن وإياهم نستظل بظلال وحيه المخضّلة المقدسة .

واليك ما جاء في القرآن :

«وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب» (١) « ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب » (٢) .

وما جاء في الانجيل :

« ظهر اله المجد لابينا ابراهيم» (٣) « وعد الله ابراهيم قائلا: لأبارکنّك بركة ، ولأكثرنك تكثيرا » (٤) لتصير بركة ابراهيم للامم (٥) .

وما جاء في التوراة :

« وتتبارك فيك جميع قبائل الارض » (٦) « وأجعل نسلك كتراب الارض » (٧) « واما انا فهوذا عهدي معك وتكون

---

(١) سورة العنكبوت ٢٧
(٢) سورة الحديد : ٢٦
(٣) اع ٧-٢
(٤) اع ١٣-٦
(٥) غل ٣-١٤
(٦) تك ١٢-٢
(٧) تك ١٣-٦

ابا لجمهور من الامم . . . . وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك ، في اجيالهم عهدا أبديا » (١)

وها هي التوراة تعيّن أن ابراهيم ، بعث بذريته الى الشرق « واما بنو السراري » اي ابناء ابراهيم سوى اسحق واسماعيل وهم احد عشر ولداً « فاعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم الى ارض المشرق » (٢) .

كما يشير الانجيل إلى أن لابراهيم ذرية في المشارق والمغارب «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم(٣) وقد أجمل القرآن معنى ذلك بقول الله لابراهيم « أني جاعلك للناس اماماً » (٤) « قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابرهيم » (٥)

* * *

الآن تحقق قراؤنا ، أن ينبوع الوحي الالهي واحد في كل الامم ، وأن الله ، بارك امم الارض ، بابراهيم وذريته من بعده ، فلا غرابة إذا وجدنا هذا الاكبار ، في أمم المشرق الاقصى وفينا نحن ، إذ كل ذلك مصداق الوحي الالهي ، وتوحيد لكلمتنا، واعادة الفروع الى الاصل، وبناء للمحبة الانسانية، على أساس الهي وثيق.

---

(١) تك ١٧ ٥

(٢) تك ٢٥ - ٥

(٣) مت ٨–١١

(٤) سورة البقرة

(٥) سورة الانعام

البراهمة الحاليون

أصبح قراؤنا يعتقدون معنا ، أن ابراهيم نفسه هو الداعي الاول للبرهمية في الهند ، لابعض تلاميذه ولا أحد أولاده وأنه نشر عقيدة التوحيد ، وأن التثليث طفيلي عليها ، كما انه طفيلي على البوذية ، (١) ولا ضرورة الى نفي الداعيين العظيمين « سيفا وفشنو» (٢) الذين أدخلا في التثليث البرهمي مع ابراهيم بعد أجيال ، والقول إنهما صفتان لابراهيم ، باعتبار أن إبراهيم هو الله، إذ وجودهما ثابت بالادلة التاريخية ، وفشنو هو مشيد المدينة المقدسة « بنارس » (٣) بمعاونة تلميذيه « فارما وماهيس » وسيفا لاتزال مغارته تزار الى اليوم .

وما دمنا ندرك أن المغالاة في الحب والتقديس ،تخرج الانسان

(١ راجع دائرة معارف البستاني مادة « بوذا » ص ٦١٧

(٢) نفي بعض علماء البراهمة وجود « سيفا وفشنو » تخلصاً من القول بالثالوث قائلا هما صفتان لبرهمة فحسب ، احداهما صفة الاهلاك والثانية صفة الاعطاء « راجع تفسير الجواهر لسورة ص»

ولا غرابة فان الفيدا تصرح بالوحدانية المطلقة ،والقول بالثالوث لم يظهر في البرهمية الا بعد احد عشر قرناً من وفاة ابراهيم .

(٣) مرت ترجمة ادريس وكريستا وستأتي ترجمة متر في كتابنا « طفيليات وأساطير »

عن بشريته، وترفعه إلى درجة الالوهية ، فقد حصل هذا لابراهيم كما حصل لادريس و كريستا ومترا وغيرهم من قبل .

إن الذين خلفوا ابراهيم في الهند ، وكانوا يحملون أعباء الدعوة الابراهيمية فيهـا ، وتعليم طقوسها ، وتـلاوة صحفه التي جمعت في « الفيدا » (١) إنما هم أتباعه الذين هاجروا إلى الهند .

وقد ظل هؤلاء الاتباع وذرياتهم ، يمارسون الدعـوة الى دين ابراهيم ، أجيالاً طويلة ، كما جاء بها ابراهيم نفسه ، وحين تقادم العهد و كثرت الشروح والتأويلات ، جعل هؤلاء لانفسهم ميزة مقدسة ، يسخرون بها سائر الشعب ، لأنهم يرون أنفسهم حـاملي لواء ابراهيم الاول ،فادخـلوا في البرهمية نظـام الطبقات ، وهو

---

(١) مركزها الديني في البرهمية كمركز « لهاسا » حيث يقيم كبير اللامات البوذي « راجع رحلة يوسف كمال ج ١ »

(٢) لم يجد غاندي في الفيدا : صحف ابراهيم ،غير ما وجده آل كاشف الغطاء في القرآن « كلمة التوحيد توحيد الكلمة » فقال « غاندي » : الفيدا لاتقـــدر قيمتها بثمن ، وإني أومن بوحدانية الله المطلقة ، ولذا أؤمن بوحدة الانسانية ، راجع كتاب ابي الهند ص ٤٠ وجريدة التلغراف البيروتية ٢٣ شباط سنة ١٩٤٨ .

أجل يقدس الفيدا،ويأخذ القرآن بمجامع قلبه،وتعظه خطبة سيدنا المسيح على الجبـل « يقصد اصحاحات ٥ و٦ و٧ من متى » ويرى في خاتم الانبياء « سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم » المثل الاعلى ، وبالاحرى بعد أن درس كتاب « البطل في صورة نبي » لتوماس كارليل .

داء الأجيال المزمن(١) الذي ماجاءت الاديان إلا لهدمه،وقد أدرك كبار المصلحين قديما وحديثا، أمثال بوذا وناناك وغاندي ، وكثير سواهم ، أنه طفيلي دخيل على البرهمية ، كالتثليث ، وقد اضرا

(١) إنه كذلك ، ها انت ذا تراه قبل أن يدخل على البرهمية في اليابان ، فقد جعلوا الطبقات الحاكمة وعلى رأسها الملك، تختص بشتى الميزات،أما الملك فله الميزة الخارقة، اذ هو ليس من السلائل البشرية ، هو ابن الشمس ، وتراه لدى قدماء المصريين أقوي منه لدى اليابان ، حيث لم يكتفوا به في هذا العالم بل نقلوه الى العالم الآخر،وأدخلوه أسطورة في دين ادريس، فقالوا« جنة الملك في سفينة الشمس وجنة العامة في الارض » وقد استفحل في الاسرة العاشرة ، فكفرت الطبقات العالية عنه بسفك دمائها .

وإنك تجده في فارس القديمة ، يتمثل في طبقات ثلاث ، طبقة الكهنوت « الموابذة » طبقة الحكم « المرازبة »طبقة العامة ، وكما وبثت به البرهمية ، وبثت به البوذية بعد تطاول القرون ، رغم أن بوذا يجيز للمنبوذ أن يكون كاهنا ، فعادلها نظام الطبقات ، وأصبح الثالوث البرهمي رابوعاً بوذياً ، إذ أضيف اليه بوذا ، وحل كهنة اللامات البوذية ، محل كهنة بنارس البرهمية .

وقد قضت الاديان الثلاث الاخيرة : فروع الابراهيمية على هذا الوباء ، حتى ان سيدنا موسى خاطر بحياته ذوداً عن شخص عادي ، إذ رأى حياته جديرة بالكرامة والحفظ ، وهي لاتقل في نظر موسى عن حياة موسى نفسه ، ولم يفلح اللاويون الذين حاولوا أن يجعلوا لانفسهم من الميزة ، ما لكهنة «بنارس»ولامات

بها اخراداً بالغة ، ونلمح هنا اليه الماحاً ونرجىء الاستفاضة فيه الى كتاب « طفيليات وأساطير » واليك تقسيم الطبقات .

١ - الرؤساء الروحيون ، ويرون أنفسهم نواب ابراهيم ، ولما جعلوا ابراهيم هو الله قالوا إنه خلقهم من اعضائه العليا ، وهم

« لهاسا » وكهنة « الشنتوا » : دين اليابان « وسيأتي تفصيله » لان نصوص المساواة كانت تطغى عليهم .

وهذا سيدنا المسيح يفهم تلاميذه قائلا « معلمكم واحد وأنتم اخوة » بل يغسل أرجلهم ليكون لهم اسوة عملية في التواضع والتراحم فيما بينهم ، وهذا سيدنا محمد يخدم الحبشة بنفسه ، ويجمع الحطب لدى صنع الطعام مع أصحابه ، ولما أبوا عليه ذلك قال « إن الله يكره المتميز بين اخوانه » بل لم يجعل بين انسان وانسان أية ميزة اذ يقول « الناس سواسية كاسنان المشط » وان يكن هناك امتياز ، فانما هو بالتقوى والنفع العام ، والتطوع لخدمة الانسانية ، وعلى الرغم من تعاليم الوحي الالهي ، فقد طغى نظام تفاوت الطبقات على جُل أمم الارض ، ولم ينج فرنسا وروسيا منه سوى ثورتيهما الداميتين .

راجع تاريخ قدماء المصريين ، وطوائف الملوك لدوزي ، ودائرة معارف البستاني مادة بوذا ، وقصة خروج موسى من مصر في القرآن والتوراة وسفر اللاويين ، وانجيل متى ٢٣-٨ وانجيل يوحنا ٥-١٣ والسيرة النبوية لاسيما خطبة الوداع ، وتاريخ الثورة الفرنسية ومجلة الهلال لشهر مايو ١٩٤٨

لايكلفون أنفسهم اي عمل سوى تناول الاتاوات والجعل ، باسم الدين والحرمان من السماء ، وهم اربعة ملايين ، وقد لمزهم غاندي بقوله « ان الذين يأكلون دون ان يعملوا لصوص » (١)

٢ و ٣ – طبقتا المحـــاربين والملاّك ، وهؤلاء لهم كرامتهم واحترامهم وأعمالهم الحرة ومهنهم الشريفة ، وعليهم الاعتماد الاقتصادي والسياسي ، ونحسب أن المحاربين هم من الفرس وسواهم ، الذين طرؤا على الهنود القدامى ، حاملين دين إبراهيم ، وأما الملاّك فهم أغنياء الهنود ، الذين وصمهم غاندي بقوله: « أصحاب الطمع الرو كفاري »

٤ – السودرا – الأنجـاس المنبوذون ، وهؤلاء فقراء الهنود الذين يشتغلون بالاشغال الشاقـة ، ويمتهنون المهن الدنيئة ، وقـد قيدوا باسم الدين بأغلال أباها المصلحون ، لأنها دخيلة على البرهمية ، فلا يحق لهم دخول المعابد ، ولا مخالطة الطبقات الثلاث العليـا ، ويحرم على ابنائهم التعلّم (٢) ، وتراهم الطبقات الثلاث مخلوقين من اعضاء إبراهيم السـفلى ! ! لذا حرمت عليهم السعـــادة الدينوية ، ولازمتهم النجاسة ، وكل من يحاول طلب ارتفاعهم يعتبر مجدّفاً ، إذ محال ، أن تنقلب الأعضاء السفلى عليا .

أما غاندي وهو المؤمن العميق عدو الملحدين فانه يقول « لو كان حقاً في أصول البرهمية نظام الطبقات لكفرت بها » (٣) إذ أدرك أن

---

(١) راجع ابى الهند ص ٧٤ كما أن روسيا تمنع بطاقـة الطعام عن الذين يستطيعون العمل ولا يعملون ، راجع مجلة الهلال مايو ٩٤٨

(٢) لكن الانكليز أمروا بتعليمهم .

(٣) راجع أبى الهند ص ٧٨ .

الله واحد ،قد خلق خلقه بأمره وقدرته ،وهوليس بانسان أو روح ليجتزىء من أعضائه خلقاً شريفاً وخلقاً خسيساً .

أجل أدرك أن هذه أسطورة ، وأنها خطر عظيم على العقيدة ، إذ لو كان في الخالق العظيم أعضاء « نستغفر الله » لانتفى عنه الكمال المطلق ، بله الحقيرة .

من أجل ذلك عقد غاندي ، مؤتمراً للمنبوذين افتتحه قائلا : « أنتم عظماء وعظماء وأرجو أن أرى للهند على ايديكم أعمالا عظيمة »

ونحن يؤسفنا جداً ، أن تظل حياة إخوتنا المنبوذين ، على ما كانت عليه بعد وفاة ، المهاتما (١) غاندي ، وإنا نضرع إلى الله أن يقيض لهم رجـــالا أمثاله ، يذودون عنهم طغيان الأساطير ، ويردونهم الى حقيقة دين ابراهيم ، كما جاء بها الوحي الالهي .

نعتقد أن الذي يرفـــع عنهم إصر الأساطير ، ويجعلهم يستمتعون بروح الوحي ، وحريته وشرفه وسموه ، إنما هو العلم ، إذ الجهل هو الذي جعل لنظام الطبقات الدخيل كل هذه القداسة والتعبد الممقوت ، كما أوسع الشقة بين أبناء الوطن الواحد ، إذ نسبة المتعلمين في الهند ، لا تتجاوز اثنتي عشر من المئة ، ولو كانوا متعلمين لاستطاعوا ان يدركوا الروح الزاخر بالدين ، المفعم بالتسامح والمودة الصادقة .

هذا غاندي الذي شمّر للعلم ، وأبى أن يذعن لرئيس الكهنة (٢)

---

(١) معناها روح عظيمة متصلة بالله .

(٢) راجع ص ٣٢ من ابي الهند

حين حاول ، أن يذوده عن الذهاب للندرة ، يصافح إخوته المسلمين ويسير وإياهم ، جنباً إلى جنب ، حتى أن الزعيمين الكبيرين «شوكت علي ومحمد علي» ورفقاؤهما من أقطاب الاصلاح الاسلامي، اختاروا غاندي لرآسة المؤتمر المطالب بالخلافة للعرب (١) .

وكم من مرة يصوم معرضاً حياته للازهاق ، حين يفاقم الجهل الخصومة الرعناء ، بين المسلمين وإخوتهم الهندوس الابراهيميين قائلاً: « من الناس من يراقبون النزاع الذي بيننا بسرور ، ومنهم من يراقبه بأسف ، أما نحن فقد اذعنا للشيطان مراراً ، صومي وحده ليس كفّارة ، إنما الكفارة الحقيقية ، أن لا يضمر المسلم شراً لأخيه الهندوسي ، ولا الهندوسي لأخيه المسلم ، ولا أطلب إلى أحد من البراهمة أو المسلمين أن يترك حرفاً من دينه بل يجب عليه أن يعلم يقيناً أنه دين ، ويؤلمني جداً أن أرى من بين أديان الآخرين ، أو يرسل الأقوال الطائشة ، أو يتكلم إفكاً ، أو يثير الخصومات ويقتل الأبرياء ، ويهتك حرمة الهياكل والمساجد ، هذا هو الكفر ، هذا هو نكران وجود الله » (٢) .

---

(١) راجع ص٧٨ منه بل راجع ٦٧ و٦٩ لترى كيف يشترك غاندي وزعماء المسلمين بتأسيس المؤتمر الهندومي الاسلامي منذ عام ١٩٢٤

(٢) راجع جريدة التلغراف البيروتية ٢٣ شباط ١٩٤٨

نظر الاسلام الى البراهمة

جاء الاسلام ، وقد فرض على معتنقيه الايمان بكل الرسل ، ليكون المسلم أوسع دائرة ، (١) يدخل فيها إخوته في الانسانية ، ويضمهم اليه برفق ، ويمنحهم مودته وثقته وإشفاقه عليهم .

ونظر المسلمين إلى الرسل السابقين ، الذين ذكرهم الله في القرآن ، والذين لم يذكرهم ، نظر قداسة وإيمان ، وكذلك ينظر إلى أتباعهم ومعتنقي أديانهم وكتبهم المقدسة .

فالمسلمون هم كالأخوة الراشدين ، الذين وصلوا بمعارفهم الى الجامعة ، وأخذوا يتلقون مثل الانسانية العليا والحكمة ، ويتقيدون بها عمليا ، وسواهم كالاخوة الذين دونهم في معارفهم ، لعراقة أزمانهم ، وقدم أديانهم ، إذ تلقوا تعاليم الرسل أيام طفولة الانسانية ، ولذا لن تجد إخوة راشدين لا يجهدون لاسعاد إخوتهم ، والغض عن هفواتهم ، مع المودة الصادقة والعمل لدوام الصلة .

ونظر المسلمين إلى ما أنزل الله على أبي الرسل إبراهيم من صحف ، لا يقل قداسة وإجلالا وإيماناً عما أنزل الله في الكتب الثلاث :

---

(١) أجل هذا واجب المسلم المحتم ، إذ كل ما في الاديان من محاسن يجمعها الاسلام فهي بروحها فيه وحقيقتها ليست سواه ، وعدم تقدم المسلمين ليس حجة على الاسلام لأنهم أهملوا العمل بمثله الانسانية العليا ، وبقدر اهمالهم يكون تأخرهم ، وتأخر الدولة لا يحط من مجد دستورها إذا كان تقدميا .

« التوراة والانجيل والقرآن » . كما أن نظرهم إلى أتباعه ، سواء كانوا في الهند أو فارس أو الصين أو العراق ، نظر تقدير وأخوة ومودة . إذ القرآن ينادي بأن أولى الناس بأبي الرسل ، هم الذين اتبعوه قديماً وحديثاً كما سلف ، لأن خاتم الرسل إنما جاء حاملاً حجة إبراهيم ودعوة إبراهيم الى ملته ، أي حاملاً كلمة التوحيد لتوحيد كلمة الانسانية ، وتلك هي قوام الرسالات الالهية جمعاء « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ولوطاً ، وكلاً فضلنا على العالمين ، ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم » .

فها نحن أولاء نجد أن الله قدّس إبراهيم ، وجعل في ذريته النبوة والرسالة ، وجعل هداه نبراساً وقدوة للجميع ، كما حث خاتم الرسل على ذلك بعد ذكر إبراهيم وذريته في الآيات المتقدمة « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء (١) فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين

---

(١) هذا تهديد لقوم النبي ﷺ بأن كفرهم بالوحي لا يمنع انتشاره ، إذ ينشره بسواهم ، ومثل هذا التهديد وقع في التوراة إذ هدد بني اسرائيل – لدى عدم استقامتهم – بسلطان العرب ، الذين يطلق عليهم في العهد القديم ، « الأدوميون » ، اذ كان هؤلاء الأدوميين ، دولة ممتدة من تخوم الأردن إلى صحراء سينا مما يحاذي مملكة الانباط في « سلع » وهذه الدولة معروفة منذ القرن

هداهم الله ، فبهداهم اقتده ، قل لا أسئلكم عليه اجر إن هو إلا ذكر للعالمين .

ولا ريب أن البراهمة يجدون في أقدم عقائدهم التي أخذوها عن صحف إبراهيم ، عقيدة التوحيد مشرقة ، كما أنزلت من السماء ، وبهذه العقيدة استحق أتباع إبراهيم أن يكونوا أولى الناس به ، إذ عقيدة التوحيد هي حقيقة الأديان جميعاً ، فليس هناك فارق في

الثالث والثلاثين قبل الميلاد (راجع خطط الشام ج ١ ص ٥٩) وهي حاكمة جزء الشام الجنوبي قبل الطائفة التي تسللت من جزر البحر الأبيض المتوسط «الفلسطينيين» حتى أن موسى (عليه السلام) طلب إلى هؤلاء العرب أن يسمحوا له بالمرور من أرضهم لدى رحيله من مصر ، (راجع عد ٢٠ - ١٤) وقد كان بين العرب وسليمان مشادة (راجع امل ١١-١٤) وكم احتل العرب مدن الاسرائيليين حينا وحدهم ، وحينا بمحالفة الفلسطينيين (راجع ا، اي ٢٨ -٧و٢ إي ٢١ -- ٦) .

وقد استمر الخلف بين العرب واليهود ، حتى أن الزعيم العربي « جشم » كان يشن غاراته المتوالية على اليهود الذين قفلوا إلى فلسطين لتجديد الهيكل في عصر الملك الفارسي « كورش » ابن «استير» اليهودية ، (راجع سفرا ستير، ونح ٢-١٩ و ٦-١)

وقد كان تراخي الازمان على هجرات اليهود ، جعلهم يحسون أنهم غرباء عن هذا الوطن العربي وآية ذلك أن الذين قاوموا اسكندر المكدوني ، هم العرب وحدهم (راجع خطط الشام ج ١ ص ٥٩) إذ ملك العرب كان يشمل جميع الشام ، حتى أن القدس

العقيدة بين رسول ورسول ووحي ووحي ، لأن الجميع يرتبطون برباطها المقدّس وهي تؤلف بين قلوبهم ، وهذه العقيدة هي التي جعلتنا نصافح إخوتنا البراهمة قلباً الى قلب ، ونفساً الى نفس ، مخلصين صادقين معتقدين ، أن اليوم الذي نستظل فيه جميعاً تحت راية التوحيد الابراهيمي، ليس بعيداً أبداً .

وهذه الروح الطيبة ، هي التي دفعتنا الى دراسة الاصول

بولس دخل دمشق في عهد الملك العربي « الحارث » (راجع ٢ كو ١١ – ٣٢) ، والمسيح نفسه أنذر بقيتهم المتهالكة بالشتات في الارض، وهدم المدينة المقدسة حتى لا يبقى حجر على حجر (راجع مت ٢٤) ، وأعلنهم أن لا دولة لهم إلا بعد إيمانهم به « هو ذا بيتكم يترك خراباً . . . حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب » (راجع مت ٢٣)ولاريب أن الله أعلمه انهم لا يقولونها ولن يقولونها لذلك رمز لهم بشجرة التين التي دعا عليها بقوله (يابسة إلى الابد)

وهذا انذار اشعيا تجده في الترانيم السريانية المارونية أن « لا ملك ولا كهنوت ولا نبوة لهم »

ونعتقد لو أن القوم يحملون للشعوب مودة وسلاماً ، لما أنذروا هذا الانذار المخيف من الرسل، وما رجاؤك في قوم يقابلون احسان المحسنين اليهم بافظع الوان الغدر ، انظر كيف قابلوا إحسان المديانين أحفاد ابراهيم (راجع عد ٢٥ – ٦ و ٣١ – ٤ وتك ٢٥ – ٢ وخروج ٢ – ١٥)

وإنك تجد الاكليروس المسيحي ، لا يطبق جوار اليهود أبداً ، فهذا بطريرك القدس « صفرنيوس » اشترط في صك تسليم

العشرة ، في كل فروع الشجرة الابراهيمية « البوذيـــة » « والكونفوشيوسية » « والطـاوية » « واليهودية » « والمسيحية » « والاسلام » كما اسلفنا .

وإنا نجد في يقظة إخوتنا البراهمـة ، الى قدس الصلة الوثيقة ، التي تربطهم بنا وتربطنا بهم منذ أقدم الازمان ، قوة هائلة أول من تيقظ الى جلالها ، موقظا الهند « غاندي » « ومحمد علي جناح »

المدينة المقدسة للخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه بأن لا يسمح لليهود بدخولها ، ابقاء للأمر على ما كان عليه ، على أن عمر لم يجد في فلسطين من اليهود إلا بقية مستضعفة .

والعالم أجمع يدري كيف يتقبل المجتمع العربي قديماً وحديثاً هجرات المهاجرين ، بالترحاب وإفساح المنزل ، والمودة ، فقد نزل فيـه ، العمونيون والحثيـــون واليبوسيون والفرزيون والاحباش والفرس قديمـــاً ، والشركس والارمن والاكراد والاشوريون واليونان والبوشناق والتركمان وسواهم كثير حديثاً لان الجميع حملوا راية العروبة ، وكان منهم الحماة والقادة إذ هم يحملون في أعماق أنفسهم الانسانية السامية ، التي تجعل الانسان يدرك تماماً أنه اخ الانسان لحماً ودماً ، أنى حل وفي أي بيئة نزل ، كما أن العرب الذين دخلوا بلاد فارس والهند والصين وأندنوسيا وفرنسا وايطاليا وأخيراً العالم الجديـد ، ذابوا في تلك المجتمعات وأصبحوا من صميم أهلها ، ولم يفكروا أن يحاربوا الشعوب التي نزلوا بينها ، ويبنوا على أشلائها دولاً ، كهؤلاء اليهود الذين تمر عليهم الاجيال ، وهم كالحصاة في مجرى الماء يجري ما يجري وهي

فالهند وإن أصبحت دولتين مستقلتين ، لسعة أقاليمها ، وترامي أكنافها ، فانها واحدة في أهدافها وروحها ، لأن كلا الدولتين فيها المسلمون والبراهمة . وها نحن أولاء نشاهد دولة الهند الابراهيمية الفتية آثرت أن يكون ممثلها السياسي مسلماً لدى حكومة جلالة ملك مصر « فاروق الاول حفظه الله » تأكيداً لوحدة الروح والأهداف .

وإنا نضرع الى الله ان يؤيد هاتين الدولتين الفتيتين ، على يد قادتها المفكرين وشبابهم المثقف المتفاهم ، كما نضرع اليه ان يمنح أختها « أندنوسيا » من نعمة الاستقلال ما منحها ، بل نضرع اليه أن يوحد كلمة الانسانية جمعاء ، ويلهمها الحكمة والتراحم ، والعمل الصادق لتأييد السلام في العالم .

هي على يبوستها وقسوتها ، أو كما يقول التاريخ عن بعض لويسات فرنسا « لا يحفظون شيئاً ولا ينسون شيئاً » ، فلا تصدق اوربا وأميركا أن اليهود أصبحوا منها بمجرد إعطاء الجنسية ، والزمان كشف وسيكشف ، وسوف يكشف عن ترجمة هؤلاء الذين وبخهم سيدنا المسيح لأنهم يقسمون بالذهب (مت ٣٢)

الدعوة العملية الى الله

كثيرٌ هم الذين يدعون الى الله بأقوالهم ، على فساد طويتهم ، وسوء أعمالهم ، منشدين :

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولايضررك تقصيري

وفاتهم أن الدعوة العملية ، أنبل غاية وأمجد عائدة وأكرم عند الله . بل هي الخليقة بكلمة دعوة ، فالناس لا يستمعون الى الاقوال ، بمقدار ما ينظرون الى الاعمال: « يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (١) « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً » (٢) وقديماً أنشدها شعراً خالداً أبو الاسود الدؤلي ؟

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويقتدي بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقد اقتبس هذا المعنى ابو العلاء في قوله :

---

(١) سورة الصف آية ٢
(٢) سورة الاحزاب آية ٢٢

وانصح رفاقك ما الفيت مستمعاً وليشهدوا أثراً من نصحهم فيك

وهل خمدت جذوة الدعوة الى الله في العالم ، واستحالت الى رماد معصوف ، أفضى الى انتشار وبأ الالحاد ، إلا بعد أن أمست اقوالاً معسولة في علقم الافعال ، وما كان انتشار المسيحية ، على يد الحواريين الكرام « انصار الله » لان كلماتهم فتنت الناس وجذبتهم الى الايمان ، بل لان اعمالهم كانت كذلك .

ولم يسلم اهل الصين والهند واندنوسيا وسواهم لان الحكومات الاسلامية امدتهم بالارساليات الدينية ذات البيان واللسن ، بل لان مهاجرين اخياراً صادقين في اسلامهم نزلوا بينهم ، اوتجارا كراماً بررة اجتازوا بهم ، فكانوا كواكب هداية و كنوز خلق وانسانية ودين

ويجدونا الواجب المقدس هنا ان ننوه بالعلامة الكبير السيد « خالد عطوى نصيف » (١) ، اذ كان من بواعث صدقه في اتباع هدى القرآن وفرض تعاليمه خلقاً له ، النبل والاستقامة في كل اعماله ، والمفاداة بالمادة في سبيل الانسانية البائسة وبالاحرى مواطنيه من اهل « كندا » مما دفع كثيراً من اخوانه الى دراسة المثل العليا التي جاء بها القرآن الكريم ، واعتناقها على غير توجه منه لهذا الامر .

---

(١) هذا الطبيب قد هاجر من شبعا سنة ١٩١٣ م الى العام الجديد وهو يحمل معه القرآن الكريم ، وجعبة مما ورث عن اجداد آل نصيف من كتب طبية خطية .

وقد كان من نتائج دراساته الخاصة أن سجل حتى اليوم في كندا اربعين دواء آخرها دواء السكري الذي أعي الطب وسيوزع في صيدليات العالم قريباً .

خاتمة

انا نجد من الوفاء ، قبل ان نطوي آخر صفحة من كتابنا هذا أن ننوه بجلائل الاعمال التي تقوم بها مصر العظيمة ، على يد بعوثها في شتى الاقطار ، للدعوة الى الله ، يزجيها ثاني رجل في الدولة ورئيسها الديني الاعلى وشيخ اكبر واقدم جامعة اسلامية « الازهر الشريف » فضيلة العلامة الكبير الشيخ مأمون الشناوي تساعده هيئة كبار العلماء ، ورجال الوعظ والارشاد ، وكم نتمنى ان يحذو حذوة معهد النجف الاشرف وجامعة عليكرة ومعهد الزيتونة وفاس . وانا نرى ذلك قريباً لأن اليقظة والاتجاه الروحي اخذا سمتهما العملي الى الحياة .

كما ننوه بجهود فضيلة المرشد العام للاخوان المسلمين الاستاذ حسن البنا ، وسعادة صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين الذين يوجهان الشباب ، الى الاخذ بمثل الانسانية العليا التي اوحاها الله في القرآن الكريم ، اخذا عملياً اكيداً ، فيه قوة ومجد ، وفيه فضيلة ونبل ، ومعرفة عميقة وحضارة سامية .

وانا نرى من الحق علينا أن نؤذن بجهود ، مفتي الجمهورية اللبنانية الاكبر سماحة الشيخ « محمد توفيق خالد » لاعداده الشباب في كلية فاروق الاول الشرعية ، ليقوموا بواجب الدعوة الى الله .

ولا يعزب عنا ان نكبر الاعمال ، الخالدة التي تقوم بها الهيئات الكبرى في الهند ، وبالاحرى جمعية لاهور الاسلامية ، الساهرة التي لها سعة الميادين في اوربا والعالم الجديد .

وكم افدنا من تلكم الاسفار الخالدة ، التي يقوم بتأليفها واخراجها ، مؤسسو دار الطباعة العربية في « بونس ايرس » الدكاترة « سنتياغوم ، بير النا ، وسيف الدين رحال ، وابراهيم صالح » وما امتدى اليه العالمان الصديقان الاستاذ يوسف على الهندي والشيخ الرواف ، من نقل اهداف القرآن الكريم الى اللغة الانكليزية .

ويسرنا جداً ان نبارك نهضة « اندونوسيا » الحديثة ، وجمعية الآداب الاسلامية ومكارم الاخلاق العراقيتين ، وجمعية التبليغات الاسلامية في ايران ، بيد اننا نستميح عضوها الاديب ، نقيب اشراف حوران الشريف « جابر السيد » عذراً حيث لم نذع تقريظه لاعمالنا ، لأننا لم نرَ انفسنا خليقة بذلك ، ولما نقدم بعد الى الانسانية سوى ثمرات نحسبها فجة ، وتحتاج الى نضج وجهاد طويل

وكم كان يسعدنا ان نتحدث عن النشاط الديني لاخوتنا البراهمة ، ومؤسساتهم للدعوة الى الله ، في هذا الجزء الخاص بهم ، تأييداً لما اخذنا عليه انفسنا ، ولكن حال دون ذلك بعد الدار ، وتباين اللغات ، وفقد المراجع من بين ايدينا ، في هذه الناحية

واذا فاتنا ذلك على الرغم منا هذه المرة ، فانا نرجو ان لا يفوتنا مرة ثانية ، فنحن نطلب اليهم بالحاح ، والى المؤسسات الاسلامية في الهند ، أن يتفضلوا بموافاتنا بكل ما لديهم من معلومات في هذا الصدد ولهم منا جميل الشكر وعظيم الامتنان .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني تحت عنوان

طفيليات واساطير

استدراكات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	١٢	انتهو	انتهوا
٢١	٧	والارض	والارض جميعاً
٣٠	٣٣	بآية	بـآيهِ
٣٤	١	شروع	شروح
٣٩	١٥	لمعة	لمفـة
٤٠	١	(١)	.
٤١	٧	ودهته	ودلهته
٥٥	٩	نيـير	تيـير
٦١	١	هذة	هـذه
٧٣	٤	كتشفاها	اكتشفناها
٧٥	٥	الفليسوف	الفيلسوف
٨٠	١	أن	إن
٨٦	٣	الله	لله
٨٨	٦	خير	خـيراً
٩٢	١٥	٣	٣ سورة المائدة
٩٨	٣	يربيهم	يربيهم
٩٨	٢١	المعارف	معـارف
١٠٢	٩	الطواني	الطواف

الفهرس

٢ المقدمة
٩ التوطئة
٦٤ الناموس، او اصول الوحي الالهي في الاديان
٩٦ ابراهيم والبرهمية
١٠٨ البراهمة
١١٧ البراهمة الحاليون
١٢٤ نظر الاسلام الى البراهمة
١٣٠ الدعوة العملية الى الله
١٣٣ خاتمة

دار الانصاف

للطبع والترجمة والنشر

راى اصحاب مطبعة الانصاف في بيروت ان لبنان محروم من دار للطباعة والترجمة والنشر تعنى باخراج الكتب الاسلامية والتاريخية والادبية الحديثة وكل ما يتعلق بهذا الفرع السامي . . .

وبالاحرى وقد اتجه العالم اليوم بعد اكتشاف القنبلة الذرية وشدة الخوف من الحرب المقبلة ، الى احياء الروح الديني العالمي والعاطفة الانسانية الكريمة .

وقد اسندوا مديرية الدار الى الاستاذ الشيخ هاشم الدفتر دار وسلمت امانة السر الى الاستاذ الشيخ محمد علي الزعبي ، وهذه الدار تقوم بطباعة الكتب الحديثة الجيدة المختصة بهذا الفرع .

المكاتبة باسم امين سرها

الشيخ محمد علي الزعبي

مطبعة الانصاف – بيروت

منشورات دار الانصاف

محمد ، نابوليون السماء

... هو أول كتاب يصدر من نوعه لمستشرق أوربي، فيه اكبار للمعرفة، وانصاف للحق، فوق كل اكبار وانصاف، وفيه فهم عميق كريم أجل قد استطاع « جان بروا » المستشرق الفرنسي الكبير ، ان يستعرض سيرة خاتم الرسل ﷺ استعراضاً فنياً رائعاً يأخذ بمجامع القلوب والالباب .

كثيرٌ هم المستشرقون الذين كتبوا في السيرة النبوية، وعلى كثرتهم لم يستطيعوا أن يكشفوا خفايا اللغط الذي ثار ثائره في اوربا حول المسائل الثلاث: « ازواج النبي، حروبه ، صلته باليهود » وقد اوفى « جان بروا » هذه النواحي الثلاث في مواطن شتى من كتابه ايفاءً دقيقاً صادقاً ، اذ لم يكتب كتابه الا بعد ادمان الدرس ومتابعة البحوث ، وبعد ان زار مكة مسقط راس النبي ﷺ وادى فريضة الحج ودرس مواطن الغزوات ومكث في المدينة المنورة مدة طويلة .

وقد نقل كتابه هذا الى اللغة العربية الشاب المثقف محمد صالح البنداق الموظف في شركة الريجي ، ووضعه في اسلوبه الفني المشرق ونسقه تنسيقاً يوافق الذوق العربي معتمداً على اوثق المصادر العلمية في ضبط الحوادث الاستاذ هاشم الدفتر دار المدني المدرس في كلية فاروق الاول الشرعية .

وقد قامت بطبعه مطبعة الانصاف في بيروت وهو يطلب منها ومن اشهر المكاتب .

DAT 11

J. LIB.		
19 MA.	1981	

294:D124nA:v.1:c.2
الزعبي ،محمد علي
نواة الوحدة الدينية في العالم
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES